الإسلام وإنسان العصر

العودة إلى المنبع

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

الناشر

مكتبة غريب

٣،١ شارع كامل صدقي (الفجالة)

تليفون : ٩٠٢١٠٧

مقـدمة

الاســـلام

دين .. دولة .. حضارة

الإسلام ليس طقوساً وعبادات فحسب

ولكنه دين .. دولة .. حضارة .

الإسلام دين :

العبادات فيه ليست طقوساً ولكن تربية للضمير الاجتماعى مثل الزكاة التى شرعها لصالح المجتمع كله حتى يشيع التعاطف بين الغنى والفقير فيتراحمان لايقسو الغنى ولايحقد الفقير . إن القرآن الكريم لاتكاد تخلو سورة من سوره من ذكر الفقير والمسكين أو من ذكر أحدهما .

جعل لهما حقا فى الصدقات المفروضة .

جعل لهما حقا فى الغنيمه .

جعل لهما حقا فى المال إذا اقتسمه أربابه بمحضر منهما .

جعل لهما كفارة اليمين .

جعل لهما فدية الإفطار فى نهار رمضان .

جعل لهما كفارة اعتداء المحرم على الصيد .

بل بلغ من سماحة الإسلام أن شمل بالعطف الفقير من الأديان الأخرى فى تفسير أحد كبار علمائه .

والصلاة فيه ليست كلمات ولكنها تنهى عن الفحشاء والمنكر بما هى صلة بين العبد وربه ... صلة يستحى بعدها أن يتدنى أو يتدنس بذنب أو إثم :

صلاة يسبقها وضوء هو غسل وطهارة للجسم والنفس معاً أو هكذا يجب أن يكون ، وضوء نفس قبل غسل الوجه واليدين ، ومجتمع يفرض على أفراده كافة من رجال ونساء أن تكون هذه الوسيلة الروحية خمس مرات كل يوم جدير بأن تسود فيه الأخلاق الطاهرة وتنتفى أو تقل فيه المنكرات ، إذا أديت الصلاة فى فهم وخشوع .

التوحيد أى شهادة أن لا إله إلا الله ، ارتفاع بالإنسان أن يؤله غيره فلا يتصاغر لإنسان مثله ولا يتقامأ ولا يرضى بالدنيه أو الدونية مادام لا إله إلا الله .. .. حتى كلمة (عبد) فى الإسلام منتهى الحرية لأن (عبدالله) تنفى أن يكون عبد غيره ممن خلق .. .. من عبيده حتى محمد عبده ورسوله بما هو رجل من رجالنا . وكان صلى الله عليه وسلم يردد هذا المعنى ويؤكده فى خلوص وإخلاص المؤمن وتواضع العظيم :

والصيام فى الإسلام ليس التعذيب أو الحرمان ولكن التطهير ، تطهير الجسم والتخفف من شهوة الطعام وتطهير الروح بالصفاء واستشعار الزهد واستشعار حرمان الفقير ؛ كما يتجرد الحاج فى الإسلام من المخيط هو فى الحقيقة تجرد من شهوات النفس والهوى وغرور الإنسان .. الكل فى بيت الله فى أبسط صورة حيث لا مجال للتباهى بالغالى من الثياب .. هو وحده الغنى الحميد المتعال .

توخى الإسلام خير الإنسان فى كل ما أمر به ونهى عنه فى غير عنت أو إرهاق فنى الوضوء — اكتفى بالتيمم إذا خاف إنسان لظرف عنده ، استعمال الماء .

وفى القيام للصلاة اكتفى بالإيماء لمن شق عليه القيام والقعود .

وفى الصوم أباح الأفطار فى حالتى المرض والسفر .

بل أباح المحظورات عند الضرورات :

فهو لم يكن يوماً قيداً للمؤمن به بل كان أمناً وسلاماً نفسياً .

ومع الوجوب والنهى احترم الإسلام حرية الإنسان . فليس لحريته فى الإسلام حدود إلا المحرمات والواجبات الدينية التى هى فى صالحه حين يعنى المحرم كل خبيث ورجس ومنكر .

وهكذا احترم الإسلام الشخصية الإنسانية فلم يقيدها إلا بأنفع ما يمكن من قيود الحق والمصلحة العامة والخاصة المشروعة . احترم الشخصية الإنسانية حين نعم الجسم وكرمه بإباحة الطيبات ، وكرم الروح بالحث على تزويدها بالعلم وتحليتها بمكارم الأخلاق .

احترم الإسلام الإنسان يوم جعل الإتصال بالله بدون وساطة وفى أى مكان وهو سر من محبته حين يحيط المسيحية أهلها بالتهاويل مع تواضع المسيح وزهده زهداً لايتناسب مع أطنان الذهب التى تكسو جدران الكنائس وأطنان الذهب الأخرى التى تتكدس فى البنوك باسم الكنيسه حتى لتقترض الدول ذات الميزانيات من الفاتيكان . كيف يغسل المسيح أرجل حواريه تواضعا ، ويعطى القسس أيديهم للناس يقبلونها .

احترم الإسلام الانسان يوم حارب العلو فى الأرض فالمساواة دعوته (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) بينما الأمم المتحدة تعترف بشريعة الغاب يوم أعطت الدول الكبرى (حق الفيتو) لمجرد أنها قوية أى مرخص لها بالبطش والافتراس . ومن يعترض تستعمل حق الفيتو أى استثناء الفيتو بتعبير أصح .

وقد شهدنا مآسى الفيتو فى فلسطين وعدم دخول الصين فى الأمم المتحدة على طول ربع قرن . بينما دعا الإسلام إلى التآخى بين الناس وبين الشعوب ورفع راية الحرية والإخاء والمساواة قبل الدساتير الحديثة فى الغرب بعدة قرون .

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

لقد دعت المسيحية قبله إلى التسامح والإخاء ولكن الدول المسيحية تقيم فى أفريقيا كنائس للسود وكنائس للبيض. والاضطهاد العنصرى فى جنوب أفريقيا ماثل فى الأذهان وأمام العيان .

احترم الإسلام الانسان بالحرية فى الرفض والقبول...فى العمل والاختيار حين سحب الغرب أو العصر الحديث ، السجادة من تحت قدميه .. إن أزمة الإنسان المعاصر أنه أبعد من الصورة. أصبح إنسانا نمطيا ، حين لايميز إنسان عن آخر إلا صفة فريدة فيه .

من قيم الإسلام أنه مضاد للعقلية الحشدية لأنه يحترم الفرد . إن اعتماد الإنسان على الله وحده فى الإسلام (لا إله إلا الله) (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) يشد المرء إلى سلطة أخرى غير سلطة الدنيا . وبدون مسئولية الفرد أمام الله تصير الأخلاق أموراً تواضعية. كل قوانين الأرض خارجية عن الإنسان ويستطيع إذا أمن الرقابة أو العقاب أن يخالف القانون ولكن حين يكون القانون داخله أى ضميره ، نكون الفضيلة صفة من صفات النفس .. .. والإنسان لايخرج من جلده .

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فقال فى كتابه The Undiscovered Self « هو ضياع الفرد » .

ولم يكن « يونج » وحده فمن نقدوا الحضارة الغربية « برنارد شو » فى كتابه (دليل المرأة الذكية) وديوى فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة Individualism old and new الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية ، واليكس كاريل Alexes Karelle الفرنسى فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول) .

إن كمال الحضارة أن يكون كل فرد فى المجتمع له مكان لايغنى غناءه أحد فيه ولكن المناهج الموحدة والاذاعة والرسائل الإعلامية من شأنها أن تخلق إنسانا جماهيريا .. .. إنسانا نمطيا كاليونفورم . إنسانا مقيداً بالحشدية . إنسانا صفرا مسلوب الحرية ... ومليون صفر متجاورة لاتصنع واحداً

صحيحاً ... مثل هذا الإنسان من السهل أن ينقلب إلى النقيض لأنه أصلا لم يحقق ذاته ... ولم يحقق لها استقلالا خاصا فسرعان ما يتعرض لتشقق شخصى وثقافى .

إن مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الإنسان المعاصر المتشقق نفسيا فى زحام الشعارات والأجهزة .

الشيوعية فى المعسكر الشرقى ترفض الدين حتى تنفرد بالسلطة .

وأنظمة الغرب أوقعت الإنسان فى رعب، فحمامات الدم التى أغرقت الدول الأوربية فيها ، بعضها بعضاً ، والجرائم التى ارتكبها المواطن الأوربى ضد الشعوب السمراء أثناء استعماره لها ، حلقة متصلة .

كلا المعسكرين يقع فى خطأ اسمه (العوامل الخارجية) . كل شىء يأتى من خارج الإنسان ! بينما التغيير الحقيقى هو الذى يأتى من الداخل **أى تغيير نوعية الإنسان** كما فعل الإسلام .

أما شخصية المجتمع فى الإسلام فقد ضمنتها وتضمنتها آيات الشورى وآيات المجادلة الحسنة مما **يتحتم معها وجود رأى عام له رقابة نفسيةوواقعية.**

ومن وسائل الإسلام إلى إيجاد مجتمع فاضل **الحياء** ، **والاستتار** ، فالحياء فيه قيد اجتماعى نفسى ، والاستتار حظر للشر . (قد تكون العقوبة ، علنية ولكن الجريمة يجب ألا يعلم أمرها إلا مع عقوبتها لأن إعلانها يفسد الجو الخلقى للمجتمع . ولذلك اعتبر الإسلام من يرتكب جريمة ويعلنها قد ارتكب جريمتين : جريمة الارتكاب وجريمة الإعلان) .

ركز الإسلام على الحياء لأنه يقظة ضمير .فالإنسان الحى يراقب الله فى السر والعلن،فهو لايظلم ولايخون .. إنه يستحى من الله أن يراه خاطئا أو مذنبا أو آثما أو كاذبا أو مسيئا إلى خلقه .

على أنه ليس من الحياء كتمان الشهادة والسكوت عن الحق .

لقد أرضى الإسلام : الفرد والجماعة .

فحرية الإنتاج ، والحرية الشخصية بكل ضروبها ، وحرية الملكية الفردية ، كلها كفلها الإسلام للفرد على ألا يضار الغير وإلا قيد الحق تقييداً مدنيا .

ومع أن الإسلام احترم الملكية وكفل ثبوتها وحقوقها إلا أنه وسع هذه الحقوق فى الظروف القاهرة بما يقرب من تعميمها تحقيقاً للتكافل الاجتماعى الذى يستهدفه الإسلام فى أحكامه وعباداته على السواء كما حدث فى (سنة الرمادة) فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد احترم الإسلام ، الأسرة ، حين جعل الوراثة فيها مجتمعه مع أولوية بعضها على بعض . ثم ألزم الوارث بالنفقة . ومن إنسانية الإسلام (وجوب النفقه مع اختلاف الدين إذا كانت نفقة الأصول والفروع) المذهب الحنفى .

ومن أصالة الإسلام أن أوجب النفقة على الأسرة أو الدولة لطالب العلم ذى الموهبة كما ــ قدس العمل إلى حد الحنو على الخطأ (**من عمل فأخطأ فله** أجر ومن أصاب فله أجران) وهى دعوة للمحاولة والاجتهاد مع جواز خطأ التجريب .

إن العمل أعلى درجات الاقتصاد بما هو اقتصاد طاقات الإنسان وسداد توجيهها .

والعمل خير مرب للإنسان حين يقوم على مشاعر الاحترام له والإيمان به ، وحين يقوم على طاقات الصبر والتجويد والخبرة .

وقد أورد القرآن الكريم لفظ العمل ما بين اسم وفعل فى ثلاثمائة وخمسين موضعا ونيف .

وهو احتفال بالعمل ودوره فى حياة الإنسان والأديان .

هذا هو الإسلام .

ليس دينا فحسب ولكنه هدى وتشريع واجتماع وتحرير الإرادة الإنسانية من رق الاستغلال والأضرار والقهر والتبعية المادية أو النفسية .

إنه دين ودولة :

هذا فى السلم

وهو فى الحرب إنسانى الأحكام والتوجيه لأنه فى جوهره سلام .

سلام يوم أعاد بناء الإنسان على أرض الجزيرة العربية ... سلام يوم أعاد السلام إلى نفوس تفرقت أشتاتا وقبائل متناثرة متعادية متمزقة .

سلام يوم جعل تحيته وتحية أهله فيما بينهم كلمة (السلام) .

سلام يوم سمى الجنة « دار السلام » .

سلام يوم رفع الله السلام وجعله اسما لذاته العلية .

سلام يوم دعا إلى المسالمة فى المعاملة والمناقشة .. وحتى عند الخطأ من الآخرين .

سلام يوم دعا إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف كما يزعمون .

لقد خرج هولاكو من بادية كما خرج العرب من بادية .

وفتح هولاكو بالسيف فلم تؤثر عنه حضارة ولم يرتفع به ذكر ولم يخلد به تاريخ . لقد دمر هولاكو مكتبة بغداد وأنشأ العرب مكتبة الأندلس الباذخة .

وفى أندونيسيا وأفغانستان وباكستان والهند والصين وروسيا نفسها، فى هذه البلاد — مجتمعة ما يربو على ثمانمائة مليون من المسلمين ولم يفتحها الإسلام بالسيف .

إن الإسلام يتزايد فى أفريقيا يوماً بعد يوم حتى أطلقوا عليها قارة الإسلام فى القرن الحادى والعشرين .. بدون سيف .

إنها قوة تأثيره الذاتية وبساطته وسماحته وإنسانيته وقابليته أو قابلية الفطرة الإنسانية له .

لقد حارب الإسلام ، ناشئا ،الفرس والروم بعد أن تهددتا وجوده ، نفسه . ولكنه حين يشرع الحرب دفاعا عن النفس أو دفعا لظلم فانه يحوطها بالتشريع ويضع لها من التقاليد والحرمات ما يفتقده القرن العشرون الذى يتشدق بحقوق الإنسان ومبادئ السلام .

فقد حرم الإسلام التمثيل بالميت أو قتل النساء والأطفال أو بقر البطون مما كابدته فلسطين على أرضها أو فى لبنان هذا حين رق الإسلام للأسرى إما منا وإما فداء .

وكم حروب أشعلها من يدينون بدين الرحمة والمحبة أى المسيحية السمحة ذات الحد ــ الأيسر فلم يحمل ذنبهم على المسيحية السلامية .

لقد اعترفت وثيقة الفاتيكان التى تم طبعها سنة ١٩٧٠ للمرة الثالثة أثر مجمع الفاتيكان الثانى (بمظالم الماضى التى ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية فى حق المسلمين) ودعت الوثيقة فى روح إنصاف إلى استبعاد (تلك الصورة البالية التى ورثنا الماضى إياها أو شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة) .

وكما أن الإسلام دين ودولة فى السلم والحرب فالإسلام أيضاً **حضارة** .

إنه حضارة يوم اعترف بالحضارات الأخرى قبله لم يخرب ولم تملكه شهوة التدمير والتحطيم بل تقبل وتبادل الأخذ والعطاء وأضفى وأضاف بل بلغ من سماحته وعالميته أن اعتبر نفسه دولة عامة يقوم بها المسلمون جميعا حتى عاصمته السياسية سرعان مانقلت من موطنه الأصلى إلى الأوطان الأخرى فهى دمشق وهى بغداد وهى القاهرة .

لم يتدخل الإسلام فى العادات والتقاليد وأسلوب العيش والعقائد . ولقد رفض عمر وقد حضرته الصلاة ألا يصلى فى كنيسة القيامة حتى لايفعلها المسلمون بعده .

بهذه الدماثة كسب الإسلام ، لا الأرض ، وحدها بل قلوب أصحابها .

حضارة أن يصنع الاسلام الرجال فعمر بن الخطاب فى الجاهلية كان سيداً ، سيادته قوة وفتوة فحسب ، ولكن عمر بن الخطاب هذا صنع منه الإسلام مثالا عاليا وعزيزا للعدل والحق والرأى — والفتوى والتشريع والسياسة والحكم .

هناك قواد مسيحيون وقضاة مسيحيون ولكنهم ليسوا من صنع المسيحية بل من صنع القصور والظروف والبيئة . ولكن البيئة التى نزل فيها الإسلام لم تصنع قبله عمراً واحداً ، أو خالداً واحداً .

الإسلام حضارة بما أنصف المرأة ولا أدل على قيمة حضارة من الحضارات من موقفها من المرأة .

لقد احترم الإسلام المرأة فى بيئة كانت تئد البنات فسوى بينها وبين الرجل فى التكليف والثواب والعقاب ولايكلف غير جدير .

بل رأى صلاحيتها للحكم يوم نوه بملكه سبأ فى التصرف والتعبير والسلوك .

أعطى الإسلام المرأة : حق البيع والشراء .

: حق الموافقة على الزواج ، بل اعتد موافقتها شرطاً فى صحته .

: حق الاحتفاظ باسمها بعد الزواج .

: حق التصرف فى مالها .

رفعها زوجة إلى مقام السكن والمودة بل جعلها زوجة ، آية من آياته .

ورفعها ، أما ، إلى مقام التقديس بعد الله فقد قرن طاعة الوالدين بطاعته (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) ثم يخص الأم بفضل طاعة فى موضعين من سورة لقمان ومن سورة الأحقاف لقاء ما انفردت به من ألوان

المشاق فى الحمل والرضاعة والسهر . وهذا التفضيل زكاه الرسول حين قرر أولويتها فى حسن الصحبة وأكده ثلاث مرات قبل الأب .

أما ما يتعللون به فى **موضوع الميراث** فالرد عليه إعفاؤها من التبعات والالتزامات .

وفى موضوع **الشهادة** مرده انشغالها بالأمومة وطبيعتها العاطفية والخيالية .

وفى موضوع الدرجة (وللرجال عليهن درجه) أى البدء فى بالصلح فى فترة العدة إذ الرجل هو الذى يسعى إليها طالبا المصالحة فهى فى الحقيقة درجة لها فى التعزيز بقدر ما هى درجة له فى الثواب . على أن هذه الدرجة **مقيدة** فى هذا الموضع .

الإسلام حضارة يوم اعترف بالأديان السماوية قبلة فى صورتها الأولى قبل أن يمسها تغيير من أى حجم وصنعة ... إن الإسلام لا يرفض إلا الإلحاد فليس فيه عنصرية اليهود أو قبلية قولهم عن أنفسهم « شعب الله المختار » كأن غيرهم ليسوا من خلق الله .

إن الإسلام حين يقول : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يشترط هذا بقوله (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو فى عداد الخيرين الأخيار .

والإسلام حين يقول (إن الدين عند الله الإسلام) يعنى أنه دين الفطرة السليمة حتى ليعد كل من سبقوه ممن سلمت فطرتهم ولسانهم وأعمالهم مسلمين .

واعترافه بالأديان قفل الباب أمام الردة عنه إذ فيم الرجوع وإلى أين؟ إلى المسيحية ؟ إنه يعترف بها .

إلى اليهودية ؟ إنه يعترف بها .

إن الإعتراف بالأديان الأخرى حظ كبير للإسلام ينفرد به، وسمة تسامح تحفظ عليه بشره وقوته وسط كل الظروف .

وهى دليل قوة شخصية ووثوق .

حضارة بما فيه من توجيه لروائع الخلق (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله)

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) .

هذه الكلمات مادة لحياة المسلم فى العلم والفن والدين يصوغ منها بمختلف المواهب صوراً شتى . إنه اتحاد بالكون .

استماع إلى المعزوفة الكبرى .

وينفتح القلب ويشرب النغم .

وتتوهج الروح إذ تلمسها الشرارة المقدسة .

ويبصر الإنسان بعد أن رأى ،

الإسلام حضارة يوم دعا إلى الجميل فى العمل والقول أى الفن بألوانه .

الإسلام حضارة بعناقه مع الحياة فى ود موصول يطبع فنونه حتى غدا لها طابعا ، يقول م . س . ديماند فى كتابه (الفنون الإسلامية) .

(يمتاز الفن الإسلامى بتنوع عظيم أصاب نواحيه وأشكاله وصناعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة حدا يصعب فيه كثيرا أن نجد فيه تحفتين متماثلتين ومع ذلك يمتاز بوحدته

ويقول كارليل (لو لم يكن محمد وفيه صدق ، لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها) .

الإسلام بهذه الأبعاد كلها : حضارة وثقافه وأسلوب رسالة وفن انبثق منه وعلى هداه ، عمارة ونقشا ورسما وخطا مما ترجمه فى تميز واقتدار ، الفن الإسلامى . وهو موضوع كبير .

لقد وقعت عمارة أوربا وفنونها فى القرون الوسطى تحت تأثيرات كثيرة واضحة فيه. ومهما اختلفت الآراء فى الحضارة الإسلامية أو أصالتها فمن المؤكد أنها كانت الشعاع الذى بدد ظلمات أوربا فى تلك الحقبة ففتحت عينيها على معالم جديدة للحياة الخصبة بمجد العلم ونور الفن وآيات المدنية فنقلت عن المسلمين . . نقلت عن العربية لا اليونانية أو غيرها من اللغات .

إن العالم المؤرخ أرنست رينان أعدى الكتاب للأمة الإسلامية يقول (ما دخلت مسجداً قط إلا تملكنى انفعال شديدو هو لو أفصحت عنه نوع من الأسف على أننى لم أكن مسلما) .

قال عن الإسلام جاحدوه أنه نقل عن اليونان ولكنه لم يكتف بالنقل بل أضاف كثيراً ، يكفى المسلمين أنهم وفروا على الحضارة الأوروبية والحضارة الحديثة اليوم زمناً طويلا يعد بعشرات القرون ، لقد لبثت فى طور التخرج والنقل حين أخذت عن المسلمين أكثر مما لبث المسلمون فى هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان .

على أن الحضارة الإنسانية موجات . ومن الأوربيين منصفون يقرون هذا ، فالكاتبة الألمانية سيجريد هونكه تقول فى كتابها (شمس الله على الغرب) لم يعد سراً أن مصر هى الوطن الذى بزغ فيه فجر الضمير ، ومنها أخذ اليهود ، وأن العرب ظلوا ثمانية قرون طوالا يشعون على العالم علما وفنا وأدباً وحضارة وأخرجوا أوربا من الظلمات إلى النور) .

لقد تأثرت الحياة الأوربية بالحضارة الإسلامية حتى انعكست فى لغاتها عشرات الألفاظ ولا تأخذ الحياة الأوربية هذا كله من العرب إلا إذا كانت الحضارة الإسلامية فى تمام التفوق الذى يغرى بالاقتباس .

إن اصطلاحات الملاحة الأوربية على سبيل المثال تشير إلى أصلها العربى فكلمة أدميرال Admiral من أمير البحر Arsenal من دار الصناعة ، Risk بمعنى المغامر من رزق و Wissil الألمانية من وصل وغير ذلك أكثر فى الأسبانية والبرتغالية .

إن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوربية عربية الأصل أمثال : (العقرب) Acrab والجدى Algadı والطائر Altair والفرقد Phercad بل إن كثيرا من مصطلحاتها الفلكية يرجع إلى ألفاظ عربية أمثال السموت Azimuth والنظير Nadır

هذه إشارات فحسب إلى موضوعات كبيرة متشعبة يقف على قمتها .

« الإسلام والعلم قديمه وحديثه »

« الإسلام والفنون » .

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

---

(١) هذه الموضوعات فصلت فى كتاب (من عبقرية الاسلام) للكاتبة .

رسالة إلى الأبناء :

بداية الكتاب

السماء فوقك يابنى بشمسها فى النهار ، ونجومها وقمرها فى الليل خلقها الله.

والأرض تحتك يابنى بما فيها من جبال جعلها الله رواسى تحفظها أن تميد بنا وما فيها من معادن وكنوز الجبال التى تشق فيها الآن الأنفاق حتى تحول بعضها إلى مدن سفلى .

والأنهار أمامك جعل الله من مائها كل شئ حى .

والبحار والسهول والوديان .

كل منها عالم عريض خلقه الله .

أبوك وأمك أحب الناس إليك ، وأعزهم عليك خلقهما لك الله ، وخلقك لهما .

أنت يابنى خلقك الله وجعل لك عينين ، ولسانا وشفتين ،وخلق لك السمع ، والفؤاد ، والشم ، واليدين والقدمين.. .. والرئتين وسائر أعضاء الجسم ،وكل منها يعجز الأطباء خلق مثله وأحيانا مجرد علاجه إذا أصابه عطب ... قصاراهم أن يعالجوا ما يطيف بالحى من أمراض ظاهرة .

المطر ينزل من السماء فيجرى أنهاراً على السفوح وفى الوديان ...

السمك يعيش فى الماء وفيه لك رزق طرى ، وطعام شهى .

والخيل والبغال والحمير نركبها وفيها متاع لنا .. وفيها جمال أيضاً، حتى الحيوانات والزواحف المفترسة طوعناها لمصلحتنا ففراء الدب والثعلب ثراء وثياب فاخرة ،وجلد النمر والتمساح والثعبان أحذية وحقائب ، وسن الفيل فى عداد المقتنيات الثمينة .

والبحار يخرج منها اللؤلؤ والمرجان والأصداف ،بل إن ماء البحر يحوله العلم الآن إلى ماء صالح للشرب والزرع .

والأنهار بما فيها وطميها نقلت الإنسان من مرحلة الصيد وحياة الغابة إلى مرحلة الزراعة وحياة البيت والأسرة والاستقرار والغنى والوفرة ... أى الحضارة .

حتى الدودة نأخذ منها الحرير، بل أغلى أنواعه، الحرير **الطبيعى. والنحلة** يخرج من بطونها شراب فيه شفاء للناس هو العسل الأبيض الذى تستخلصه لك من رحيق الأزهار فى عملية ذات مراحل متعددة ومنظمة وشاقة تستحق منك الدراسة يابنى .

النملة الصغيرة التى قد لاتعبأ بها ، عالم عجيب من الصبر والنظام والعمل المحسوب الدءوب . وهى فى تكوينها الصغير البالغ الدقة أدل على القدرة من الديناصور، ذلك الحيوان الضخم المنقرض الذى لاتراه ولكن تسمع عنه فى الحكايات والأساطير .

الكون الرحيب يابنى ....

هذه الشمس تعطى الحرارة والضياء .

تساعد الزرع على النضج

ويقتبس القمر منها نوره فيضئ لك فى الليل .

ويستمد الإنسان منها طاقة يسميها الطاقه الشمسية يستعين بها فى طبه وفى صناعاته المختلفة ويتخذها بديلا من البترول فى مجالات شتى .

هذه الشمس يابنى قطرها يعادل قطر الأرض مائة مرة وعشرة(١١٠ مرات) وإذا حسبته لك بالكيلو فانه يبلغ كما يقول العلماءمليونا وأربعمائة ألف .

إن حجم الشمس يابنى بالنسبة إلى الأرض يبلغ مليونا وثلاثمائة وخمسة آلاف (١،٣٠٥،٠٠٠) مرة .

لايملكك البهر أو الفزع من أمريكا أو روسيا يابنى ،

ما هى أمريكا أو روسيا بالنسبة إلى الأرض ؟

ثم ما هى الشمس بالنسبة إلى عالم الأفلاك والنجوم

ثم ما هذا كله مجتمعا ومتفرقاً بالنسبة إلى الله ؟

قل معى يابنى : ما أعظمك ياإلهى ما أعظمك :

ما أعظمك ياإلهى خلقت النهار معاشا وخلقت الليل سكنا وراحة وجعلتهما متعاقبين ومتداخلين

تولج الليل فى النهار

وتولج النهار فى الليل

تعطى من الطين الوردة والعنبة

تخرج الحى من الميت

وتخرج الميت من الحى

يقول كتاب الإسلام يابنى ، يقول القرآن الكريم :

(وجعلنا من الماء كل شئ حى)

ويحكى لورين إيزلى مؤلف كتاب (الرحلة الكونية) أن « ثورو » عندما نظر إلى سمك الكراكى الزمردى اللون فى البركة ، فى إحدى لحظات التأمل العميق قال عن هذه المياه أنها (الماء المتحول إلى حيوان) ولو كانت لديه المعارف الجيولوجية التى حشدتها جهود العلماء منذ أيامه حتى اليوم لكان يمكن أن يذهب إلى أبعد من ذلك، أعنى الضغط الداخلى الذى رفع قيعان البحر إلى ارتفاعات شاهقة كالجبال .

لقد انتشرت الحيوانات البرمائية وانتعشت فى المستنقعات الواطئة الموجودة على سطح القارات ، وعندما جاء دور قوة الدفع إلى أعلى فى عملية رد فعل متعادل للقشرة الأرضية ، ظهر إلى الوجود عصر الأرض المعشوشبة الآخذة فى البرودة وبدأت حياة الحيوانات الثديية .

إن مبدأ « التنظيم » الذى يفوق أسرار الحياة نفسها ، والذى وجد قبل الأحياء ، موجود فى أعماق الماء .

إن ما نعرفه يابنى عن أعماق البحار الدافئة ، قليل جداً ، بل نحن ، بعد الذى قلناه ، لانعرف شيئا يذكر عن الأعماق السحيقة .

إنه كما يقول « إيزلى »(عالم الملامس الطويلة التى تتلمس طريقها بوقه ، أو عالم العيون الكبيرة المحدقة التى تستطيع تبين ومضات النور الضعيفة عن بعد وتتبعها فى الظلمة الحالكة) .

إن سحر الأعماق السحيقه شغل بال الإنسانية أزمانا طويلة ، ودرس الإنسان المجرات وحسب السنوات الضوئية ولكنه لم يسبر ، بعد ، غور ، الأعماق... هناك حيث استقرت كنرز القراصنه وضحايا المعارك البحرية مما غاص فى الظلمة الخضراء ...

ويتطوح خيال الإنسان ويقص الطرائف عن عرائس البحر التى يزعم أنها تظهر فى المساء أو أن نصفها إنسان والنصف سمكة ... ويمضى خياله ممعنا فى التحليق فيسمع صوت غادة فاتنة من بنات الماء تغنى فوق إحدى الجزر ، ماتلبث أن تغيب فى اللجة عندما يسفر الصباح .

(وجعلنا من الماء كل شئ حى)

ومع هذا اعتبروا تشارلس طومسون جريئا حين قال فى كتابه،(أعماق البحر) أن (مدى عمق المجموعات المختلفة الموجودة فى البحار الحاليةيطابق بصورة مدهشة ، المدى العمودى فى الطبقات الأرضية القديمة) .

إنه عالم القاع الفسيح بفوانيسه أو عيونه المجمعة للضوء ، تلك التكيفات الماهرة الميسرة للفقاريات العليا .

إنه عالم « سهل الهاوية » حيث الزمن فيه يلتقى الماضى بالحاضر، ذلك المكان كما يقول « إيزلى » (كان بالطبع عالم الأعماق القصوى الذى لم ير النور منذ البداية،والذى يبلغ مداه من السعة مايستحيل أن تملأه أى قارة فوق سطح الماء) .

ويمضى « إيزلى » (١) فى خياله أو يقينه لست أدرى فيعلن رأيه فى (البداية) بدايته أو بداية الإنسان من خلاله (بدأت كما تبدأ مثل هذه الأشياء) يعنى الأسماك ، فى طين بعض المستنقعات البعيدة عن الأنظار ، فى حلكة أوقات الخسوف . لقد بدأت بلهاث مختنق طلبا للهواء .

كانت البركة مكانا للهواء الفاسد والعفونة ، للروائح الكريهة والسمك الذى يكاد يموت من قلة الأوكسجين ، والذى يتنفس بواسطة خياشيم مجهدة. كانت دائرة الماء المتقلصة شيئا فشيئا تخلف وراءها أحيانا مجموعات من السمك الصغير الذى كان يقفز فوق سطح الماء يائسا محاولا الهرب من حرارة الشمس، ولكنه هلك على الرغم من هذا فى الطين الكثيف الدافئ . لقد كان ذلك مكانا للحياة البدائية الدنيا ، ولكنها كانت بداية الدماغ الإنسانى) !

إنه سهل الهاوية أو عالم الهاوية الوحيد من بين عوالم الحياة الذى بقى على حاله لم يتغير ، وهو المكان الوحيد على هذا الكوكب الذى لاتزال الأحوال فيه على ما كانت عليه ، لم يتغير فيه ضغط الأميال الخمسة ولم تسطع فيه شمس ، وتتساوى البرودة فيه عند القطبين وخط الاستواء ، ولاتتبدل فيه الفصول ولا تتعاقب ، وليس فيه ريح ولا موج يحرك الطين الذى يرتفع فوقه الأسفنج الاسكوتى على سوق رشيقة ، أو تطفو فوارات الماء كأنها بالونات (نفاخات) — مربوطه بخيوط .هو المكان الوحيد على هذا الكوكب الذى لاتستطيع أن تصل إليه إلا بجهد هائل من التصور والخيال ، لم يزد عليه من إجهاد الفكر والخيال إلا واحد — هو محاولة علم الأحياء فى القرن التاسع عشر ، الذى أسكره ما أحرزه من نجاح ، أن يلاحظ الحياة أثناء عملية تكونها فى قاع البحر ، وأن يلمح نقطة الاتصال بين الحياة والموت فى طين الأعماق .

---

(١) كتاب (الرحلة الكونية) تأليف لورين ايزلى ترجمة محمد عبد الهادى ص ٧٢ — ٧٣

أرأيت يابنى كيف يدور العلم ويدور فلا يزيد شيئاً عن الآية الكريمة التى استقطبت المعنى فى بلاغ يعجز عنه الكاتبون والعالمون معا : (وجعلنا من الماء كل شئ حى) .

وحين يتحمس علماء الأوقيانوغرافيا للبحر، يتحمس علماء الجيولوجيا، وبالقدر نفسه للعالم الأرضى بطبقاته فيقدرون عمر كوكبنا أى الأرض بأربعة مليارات من السنين وأنه منذ مائة مليون سنة ، لم يكن النظر يرى ، ابتداء من القطبين حتى خط الاستواء إلا خضرة داكنة باردة على وتيرة واحدة وأنه قبيل نهاية عصر الزواحف وفى مكان ما ، حدث انفجار صامت عنيف وقد دام ملايين من السنين ، ولكنه مع ذلك كان انفجاراً ، وقد عين ظهور النباتات وعائية البذور أى النباتات المزهرة . وحتى تشارلس داروِن وهو من أعظم القائلين بالتطور وصف هذه النباتات ـ بأنها (لغز بغيض) لأنها ظهرت بصورة مفاجئة وانتشرت بسرعة هائله .

وهكذا ترى يابنى أن الحياة حولك مرت بمراحل طويلة حتى استوت كما تشاهدها جذابة مثيرة رائعة .

ارع الحياة على الأرض حولك يابنى

لاتقطف زهرة من منبتها .

لاتحرمها من أسرتها العطرة .

إن الاقتطاف قتل لهذه الحياة الجميلة التى تضوع .

فارحمها أن تضيع .

يقول الشاعر الإنجليزى فرنسيس طومسون (إن المرء لايستطيع أن يستأصل زهرة دون أن يفزع نجما من النجوم)

هذا قول شاعر . أما العلم فإنه يقول :

(لقد **غيرت الأزهار** وجه هذا الكوكب ، فلولاها لما وجد هذا العالم الذى نعرفه أبداً ـ ولا وجد الإنسان نفسه) .

ولا يهولنك هذا القول . فكر معى قليلا ، تصل إلى السبب .

إن الأزهار يابنى تستنشق فى النهار ثانى أكسيد الكربون فتوفر لك الأكسجين خالصاً ، الذى يمدك بالبقاء طويلا . (والدماغ النشط لذوات الدم الحار من الطيور والثدييات يتطلب استهلاكا عاليا للأكسجين والغذاء فى أشكال مركزة وإلا فإنها لاتستطيع المحافظة على نفسها طويلا . وقد كانت النباتات المزهرة هى التى أمدتها بالطاقة ، وحولت طبيعة العالم الحى . وأن ظهور النباتات المزهرة يوازى بصورة مدهشة تماما ، ظهور الطيور والثدييات) .

أرأيت يابنى كيف تتشابك حياة الأحياء ، ولكن الحضارة المادية للإنسان تفضى به إلى حافة الغرور حيث نرى أنفسنا (أعلى منزلة فى التطور يمكن أن تبلغها الحياة ، كما نرى أنفسنا نهاية الحياة وغايتها ، وإذا ما فكرنا فى انقضائنا ، فنحن نرى كذلك أن ضياء الشمس سينقضى بانقضائنا وأن الأرض سيسودها الظلام من بعدنا . فنحن النهاية ومن أجلنا ارتفعت قارات وغاصت قارات ، من أجلنا تمت السيطرة على المياه والهواء ، من أجلنا نبض ذلك الغشاء الحى الهائل وأضحى أكثر تعقيداً) ! !

ولو استمر هذا الغرور ، لانحدرنا إلى قاع الهاوية ولكننا لحسن الحظ يعيش بيننا فى — كل عصر حكماء : علماء أو مفكرون يتمتعون بتواضع العارفين فيمسكون علينا الحياة ، بفتح عيوننا على الحقيقة التى نعرف من خلالها أين نقف وكيف نسير فيرتفع صوت يقول : (إننا نبحث الآن وعلى الدوام ونتقصى ، ونحتاج ونختلف ، ولكن الشكل الأبدى الخالد يروغ ولانستطيع إدراكه وتحديده — الشكل الذى نتخيل أنه شكلنا إننا واحد من مظاهر كثيرة للشئ الذي يدعى — « الحياة » ولسنا نحن مثالها الكامل لأنه لامثال لها إلا الحياة نفسها ، والحياة متعددة الصور كما أنها طارئة على مجرى الزمان) .

ويسرى إلى سمعى يابنى ، حروف مقدسة قدسية . . حروف قليلة العدد كثيرة المعنى ، قريبة الفهم ، بعيدة الأثر : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وقليلا هنا ، عندها ، الدقة تستريح .

* * *

انظر يابنى ، شجرة واحدة من ملايين الأشجار المنتشرة فى الطبيعة ، وتأمل روعة الخلق فى كل ورقة وكل غصن..اصغ إلى موسيقى الألوان أو موسيقى العبير ... ماذا يستطيع الإنسان إزاء هذا كله ؟ قصاراه أن يقلد وقد يتقن التقليد ... وهذه أيضاً محاولة واجتهاد يحسب له ويشكر عليه ، فالتقليد تحية أهل النبوغ لأهل العبقرية . ولكنه بعد هذا كله لايشائى ماخلق الله ولا يضاهيه ،حتى وإن بدت وروده الصناعية كأنها طبيعية، تظل ينقصها الكثير .. .. ينقصها النبض والرفيف والشذى .

تنقصها الحياة، أى ينقصها كل شىء .

هنا تتجلى روعة الخلق وتفرد الخالق

وهنا لايملك المخلوق إلا أن يقول : أنت أنت الله .

حتى **الريح** يابنى تعين سفينتنا فى البحر .

الله يابنى يسيرنا فى البر والبحر

ويرسلها بشرى بين يدى رحمته حين تزجى السحاب المحمل بالماء وتسوقه إلى بلد جديب فينزل الماء وتحيا الأرض وتنبت الحب والثمر والشجر.

الشجر ينمو ويعمل فى صمت . وفى صمت يعطى عطاءه . ودائما الأعمال الكبيرة يابنى ترتفع على لغو الكلام وصخب الثرثرة .

كل شىء فى الحياة خلقه الله . . ولمنفعة خلقه ... حتى **الكهوف** فى الجبال آوى إليها الإنسان، بل كانت ، نقطة بداية، فى حضارته، أمنته من خوف فبدأ يخطط عليها ويفرغ مخاوفه . . وبعض كبار الفنانين اليوم يرون فن الكهوف ذا نكهة خاصة لايبلغها فن اليوم من حيث بكارة الإحساس قبل أن يعلو الإحساس ، سأم الحضارات .

الصحراء أمامك يابنى لست خلاء بلا غاية كما يبدو لك من الوهلة الأولى ، فهذه الصحراء بامتدادها اللامتناهى للعين المجرده تعين على التأمل وتغسل النفس فيتطهر الإحساس . ولهذا ولدت الديانات فى الصحراء حيث الخلوة معراج للنفس إلى ذرى القيمة أى الحكمة .

أنت تعرف من الدنيا يابنى بيتك ،ومدرستك،والشارع الذى تسكن، والشارع الذى تقوم المدرسة عليه والطريق إليها،وقد تعرف النادى والحديقة والقرية والمصيف . ولكن العالم بعد هذا دنيا عريضه يابنى مملوءة بالأسرار والعجائب والغرائب .. ..

نأخذ عالم الطيور...أنت تعرف الحمامه والعصفور ،وقد ترى فى الحقل الهدهد و « أبوقردان » فهما صديقان للفلاح ولى نعمتنا يابنى ولكن العالم روبرت يعتقد أن فى الدنيا حوالى مائة بليون طائر !

وقد عثر العالم أندريس فاجنر سنة ١٨٦١ فى ألمانيا على عظام حفرية وريش تثبت أن الطيور خلقت على الأرض قبل أن يدب عليها الإنسان بوقت طويل .

هل تعرف يابنى أن ريشة الطائر البالغة الخفة والرقة ، بالغة الصلابة والقوة أيضاً؟ إذ تحتوى على شبكة من الألياف الشديدة الصلابة، ما أعظم إلهنا يابنى وما أقدره .

إن طائرا قد تحسبه ضعيفاً يملك من عضلات الصدر ما هو أقوى من عضلات الإنسان ، ويحتمل العمل الشاق مدة أطول أيضاً ! !

إن بعض الطيور يقطع فى طيرانه مسافات طويلة دون أن يستريح ولو دقيقة واحدة . إن أحدث طائرة لاتقاس بالطائر الصغير المهاجر الذى يطير مسافات شاسعة على جناحه الدقيق . هذا هو معجزة القوة الأعظم .. قوة الله .

هل تعرف يابنى أن سرعة النعام تبلغ ثمانين كيلو مترا فى الساعة ؟

وأفواه الطيور وإن كانت خالية من الأسنان والشفاه إلا أنها تستطيع بالمناقير أن تبزنا فى التقاط الأشياء بسرعة ورشاقة تحسدها عليها أصابعنا نحن البشر ؟

تستطيع أنت أن تسير على قدميك وأن تجرى وقد تسبق أصحابك ولكن الطيور وحدها تستطيع بأقدامها أن تجدف أو تمسك الأشياء أو تقبض على أعدائها .

عندما تكبر يابنى سوف تجد فى الدنيا ألوانا من الناس والطباع ... سوف تجد المزهو الذى يحسب نفسه قادراً على صنع كل شىء مع أن هناك من الطيور الصغيرة الحجم إذا قيست إليه ، تستطيع أن تشكل السلال وتحفر الجحور وتنحت الخشب وتصور الطين بل تنشىء الأرصفة والأنفاق وتبنى السقوف.

لاتعجب يابنى إنى أحدثك عن وقائع فى دنيانا نحن الكبار ولايصدقك كالأم ... إن البط والأوز يصنع حشايا عجيبة من الزغب الناعم يرتاح عليها البيض الذى تلامسه فى حنان كما نفعل نحن الأمهات معك ومع إخوتك يابنى .

ادخل المتحف الزراعى يابنى تجد بيض الطيور عالما وحده فيه ألوان لاحصر لها . بعض البيض منقط وبعضه فيه علامات ومن البيض ذو اللون الواحد ومنه ذو الألوان التى تبلغ أحيانا خمسة ألوان على قشرة واحدة .

ما أعظم قدرة ربك يابنى وما أوسع عالمه .

وكعالم الطيور ، عالم الحيوان وعالم الحشرات وعالم الأفلاك وعالم البحار ... أما مملكة النبات فعوالم شتى رائعة .

ولكن أروع المخلوقات جميعا : الإنسان .

سواه ربه فى أحسن تقويم .

واستطاع بالذكاء والفكر أن يسيطر عليها إلى حد كبير ،وأروع ما فى الإنسان : قلبه ولسانه .

المرء بأصغريه : قلبه ولسانه كما يقول رسولنا الكريم .

الله ربك يابنى واسع العطاء وبعض هذا :

عطاء الموهبة وهى ذكاء نفس ، وحصادها الفنون بما أبدعت .

وعطاء الذكاء وهو موهبة عقل ، وحصاده العلوم بما وعت .

وكلاهما رزق معنوى .. مادى .. بلا حدود .

قل معى يابنى (اللهم مالك الملك تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير)

هذا الملك أمانة يابنى

أمانة أبت الجبال أن يحملنها وحملها الإنسان .

وهى مسئولية كبرى .

عليه أن يحفظ الأمانه ويؤديها .

والحفظ والأداء سلامة تصرف فيها،وعدالة سلوك ثم شكر صاحبها ومراقبته فى السر والعلن فإننا إذا كنا لانراه فإنه يرانا ويعلم السر وما أخفى .

والمقصود بالملك يابنى ليس المال وحده .

ليس الجنيهات والقروش أو الدنانير والدراهم .

ربك يابنى يملكنا كلا لايتجزأ .

يملكنا مالا ونفسا ومتاعا .

فاذا كان المال أوصى به أن يكون وسطا راشدا بين التقتير والإسراف فأولى بالنفس أن تكون أكثر حرمة ورعاية . لهذا أمر بتزكيتها بالتدبر فى خلق السموات والأرض،وتصفيتها من نزعات الشر،ونزغات الشيطان ، وتنقيتها من الحقد والغل والحسد والبغضاء .

(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

بل إن أوامره ونواهيه ليست إظهاراً للقدرة، أو إدلالا بها، إنها فى صميمها وجوهرها تكريم لإنسانية الإنسان، فهو حين ينهى عن الخمر فلأنها تذهب سلطان العقل وتسقط هيبة الإنسان؛ فيتورط فى أفعال تثير السخرية منه، وهو الذى زوده الله بالتفكير ووهبه الإرادة والاختيار ...

لقد أراد الله بنا رشداً .

وهدانا النجدين وهما طريق الخير وطريق الشر .

والخير يابنى أولى أن يتبع .

أعود إلى تفصيل الوسط الراشد فى المال ...

على مستوى الفرد أن ينعم جسمه بالنظافة والجمال ،

وأن يثرى عقله بالعلم والمعرفة والثقافة مختلفاً ألوانها. وسبيله إلى هذا، المدرسة والجامعة والمكتبة والرحلة فقد أمرنا الله أن نمشى فى مناكب الأرض لنزداد علما وقدرة على الملاحظة والمقارنة والتفكير .

أن يثرى قلبه بالحب والعطف والخير .

وأن يثرى وجدانه بالفن وألوان الجمال فى الطبيعة وفى النفوس بل فى الأشياء .

أن يثرى حياته بالبيت والأسرة والولد .

أن يثرى ضميره بالإنفاق فى وجوه الخير والإسهام بقدر ثرائه فى الأعمال القومية والاجتماعية من دور العلم ودور الصحة أى المستشفيات وغير هذا مما يعود بالنفع على الوطن والأمة ، فقد سئل رسول الله يابنى ، عليه الصلاة والسلام : من خير الناس ؟ فقال فى حكمة الرسل : أنفعهم للناس .

أما الوسط الراشد بالنسبة إلى الدولة فهو أن تتغيا مصالح البلد فلا تنفق درهما على زائل من مظاهر وزيوف، وفى البلد جاهل أو مريض أو عاجز، أو مرفق يحتاج إلى إصلاح، أو حدود يجب تأمينها وحمايتها، أو دين يتحتم سداده. لقد

كان عطر التاريخ عمر بن الخطاب يابنى يقول (لو عثرت بغلة بالعراق لسألنى الله يوم القيامة لماذا لم أمهد الطريق)

أعرفت يابنى كيف يحس المسئولية ويخاف الله فيها ، أصحاب الضمائر ؟

والوسط الراشد الخاص بالدولة ، جزء منه ، يقع عليك يابنى مواطنا ومسلما. أعنى أن تكون يقظا..وأن تكون عاملا أى تحاسب على الأقل أى « تجاوز » ولا أقول انحراف .

لاتقل أنك فرد محدود القدرة أو الفاعلية .إن الشعب مجموع أفراد ، كما أن البحار من قطرات والجبال من ذرات . إن كل فرد لو قام بواجبه غير منتظر الآخرين لغدا فى البلد رأى عام تحسب اه الحكومة .. أى حكومة ، وكل حكومة ، ألف حساب .

الاسلام أخــلاق

ليس الإسلام الطقوس يابنى إن الحج أحد قواعد الإسلام الخمس ومع هذا أعرنى سمعك يابنى .. إليك هذه القصة : قصة كان الإمام أحمد بن حنبل قدسمعها عن شيخه عبدالله بن المبارك وهو إمام جليل...وكلما تذكرها فاضت عيناه .. ..

كان الشيخ عبدالله بن المبارك فى طريقه إلى الحج فرأى مزبلة قوم وقد انكبت عليها فتاة تأخذ طائراً ميتا وتلفه فسألها عن أمره فقالت : أنا وأخى هنا ليس لنا شىء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميته منذ ثلاثة أيام (أى أن الجوع اضطرهما إلى أكل الميتة) . وقد كان أبونا له مال ، فظلم وأخذ ماله وقتل ... فقال ابن المبارك لوكيله :

– كم معك من النفقة ؟

– فقال : « ألف دينار »

– قال عد منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو ، وأعطها الباقى .

فهذا أفضل من حجتنا هذا العام .

ورجع ....

لقد كانت هذه القصة نقطة تحول فى حياة الإمام أحمد بن حنبل يابنى حتى أنه أخذ يتساءل وهو يتمزق : ما جدوى الانشغال الكامل بالمجردات والقضاء ، والقدر ، وخلق القرآن والجبر ، والاختيار ؟ ما جدوى المواعظ التقليدية والإنسان المسلم يبحث عن القوت فى المزابل ؟ بل ما جدوى ذكر الله ، إذا كنت تأكل الحرام ؟ إن من آكلى الحرام من يعيشون فى بحبوحة من العيش والوقت فيستطيعون أن يذكروا الله رئاء الناس،أو ادعاء الصلاح

حين يشغل الكدح وراء الرزق التعساء عن ذكر الله وعن أنفسهم وعن كل شيء ؟ فهل الذكر هنا مسألة حجم ؟ أم أن ذكر الله ليس ما يدور به اللسان وإنما هو عمل الصالحات من بر وعدل وصدق وتعفف وكل مايعنيه جوهر الاسلام لا الشكل ؟

طاف رجل بفقهاء بغداد يسألهم واحدا بعد الآخر : بم تلين القلوب ؟ قالوا الجواب المنتظر : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

ثم ذهب السائل إلى الإمام أحمد بن حنبل فاختلف الجواب .

قال الإمام : تلين القلوب بأكل الحلال .

إن القصة تعمل عملها فى أعماقه .

وحين علم فقهاء بغداد بما قاله الإمام أحمد ، أفاقوا ولم يملكوا إلا أن يقولوا : (جاء الإمام بالجوهر .. الأصل كما قال) .

* * *

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة زاهد شغلته العبادة عن الرد على أمه وكانت فى حاجة إليه . فأصابها أذى ، فعقب الرسول على سلوك العابد بأنه لو خرج من صلاته ، وأجاب أمه . لكان أحب إلى الله تعالى وأقرب .

قيل للأمام أحمد (فلان يشرب) فقال : (هو ُ لمكم شرب أم لم يشرب) إلى هذا الحد بلغ تفتحه ... كيف وصفوه بالتزمت ؟

ليست الطقوس فى الإسلام يابنى لمجرد الأوامر ولكنها سبيل إلى تزكية النفس ، وترقية الإنسان ... هذا إذا أحسن أداؤها .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. وهى صلة بيننا وبين الخالق تجعلنا على مقربة من المنبع الشامل والنبع الصافى ومجمع الكمالات .

(ولذكر الله أكبر) (١)

---

(١) العنكبوت ٤٥ .

والصلاة عاصم من مزالق الضعف الإنساني (إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين) (١) .

والزكاة تزكي النفس ، وتشيع الرحمة والتعاطف ، وتسعد الفقير ، وتنزع الحقد من القلوب .

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (٢)

والصوم إعلاء للضمير يمتد إلى احترام القانون الوضعي بعد السماوي وهو مرقاة إلى التقوى .

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٣) .

حتى الأمر لم يستقل به وهو صاحب الأمر ، بل وكله إلى الإنسان : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) .

حين حرم الإسلام الخمر والميسر وعدد الأسباب ، لم يكن أولها الصد عن ذكر الله وهو سبب أولى بتقديم ، فرضا الله أعظم الظفر ، وغضبه أكبر الذنب ولكنه مع هذا قدم المساوئ التي تلحق الإنسان من معاقرة الخمر وممارسة الميسر .

(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة)

قدمها على (الصد عن ذكر الله) لأنه غني عن العالمين ، ولكنه حين يحرم الخمر فذلك فيه حفظ العقل الذي كرمه ، مخبراً ومظهرا ... حفظ الروابط والصلات فلا يفسدها اللعب ومافيه من محاولة الكسب غير المشروع وما فيه من تخايل يهبط بصاحبه فلا يرتفع به منصب ، ولا يعلو به انتساب .

---

(١) المعارج ١٩ ــ ٢٤ .
(٢) التوبة ١٠٤ .
(٣) البقرة ١٨٣ .

إن التشريع الإسلامى كما يقول الشيخ (محمد عبدالله دراز)(١) يرى أن (فساد الخلق ليس هو السبب الوحيد الذى ترد به **شهادة الرجل** فى المنازعات ، بل إن مسلكا طائشا ، أو زيا يخرج عن الاحتشام ، أو انهماكا فى الملذات ، حتى ما كان منها مباحا — كل ذلك من شأنه أن يرد شهادة الرجل ، ويجعله غير أهل لوظيفة القاضى ، وبالأحرى غير أهل لوظيفة رئيس الدولة) .

فحين يحرم الإسلام الخمر فليست المسألة سلطة أمر ، وإنما حماية للمجتمع وصيانة للفرد ، فإن شارب الخمر كما يقول الإمام على كرم الله وجهه ، إذا شرب سكر ... وإذا سكر هذى .. وإذا هذى افترى .. وهنا يتعرض للعقاب والتجريح ، وفقد الاحترام أى فقد القيمة بعد أن مزق كما يقول الشيخ دراز ، أستاره الواقية) .

(**والسارق والسارقة** فاقطعوا أيديهما) (٢)

(**الزانية والزانى** فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (٣)

أمام هاتين الآيتين يابنى ترفع الضجة عقيرتها ، ويصطنع حتى القساة ، الرحمة والرقة . ونسوا هؤلاء جميعاً :

أن حق الإنسان فى الاحترام

وحق الإنسان فى الأمن

وحق الإنسان فى الكرامة وعدم المساس به

هذه الحقوق جميعاً يعتدى عليها اللص والزانى قبل أن يعتدى عليها القصاص العادل والروادع

لقد سلب اللص أمن إنسان حر ، فى متاعه

---

(١) (دستور الأخلاق فى القرآن) للشيخ محمد عبد الله دراز ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) المائدة ٣٨ .

(٣) النور ٢ .

وأمن المجتمع في الطمأنينة والاستقرار وانتفاء الخوف .

كما ساب الزاني شرف أب وأم وإخوة وأسرة

بل شرف الإنسانة التي خدعها وراودها عن نفسها، وهي معان تعدل الحياة نفسها ، إن الحقوق ، لمن يعرفها ويعترف بها للآخرين ، ويحترمها ويصونها ... فمن أضاعها فالجزاء من جنس العمل .

وبقدر هول العقوبة ، يكون تفاديها واتقاؤها .

هذا من الناحية النظرية

أما من الناحية العملية فما علينا كما يقول الشيخ محمد عبد الله دراز ، ما علينا لكي نقتنع بحكمة التشريع الإسلامي إلا أن نرجع إلى السجلات القضائية في البلاد التي تعاقب على السرقة بالغرامة ، والتعويض ، أو الحبس ، وفي بلد آخر كالعربية السعودية ، حيث مازال الجزاء القرآني معمولا به ، هناك سوف نجد أعدادا لا حصر لها من الرجال الذين لا يرجى صلاحهم ، وهنا يكاد الناس يكونون معصومين ، ولربما قيل : **إنه فرق في الطبيعة ..**

ويحكي الرجل عالم الدين أنه زار الحجاز ، في أوائل عام ١٩٣٦ م ، فأذهله أنه حيثما توجه ، وجد تباينا كاملا بين الحجاز وغيره من البلاد الإسلامية ، فان السرقة لم تختف من المدن فحسب بل إنها اختفت حتى في الجبل والصحراء ، بل تجاوز اختفاؤها حافة الظن إلى مرتبة اليقين ، حتى أن حقيبة ضائعة ملقاة على الطريق غير المأهولة والتي لا يمكن أن تصبح مأهولة يحتمل أن تبقى في مكانها إلى مالا نهاية ، دون أن يجرؤ امرؤ على لمسها ولو بدافع الفضول .. ومع ذلك فكل شيء هناك كان يغري بها .

— الفقر بين سكان الجبال عادة

— ثراء السياح والحجاج

— ندرة وسائل المواصلات

— عدم وجود الشرطة تقريباً فإن وجدوا ، فعلى مسافات بعيدة

ولكن ابن سعود استطاع حين ارتقائه الساطة أن ينفذ الحد ولم تحتج إلى أكثر من حالات قليلة كانت كافية للردع وبهذا قضى مرة واحدة **قاطعة** وفى **كل مكان ، على كل محاولة** ، للسرقة ، والاختلاس .

وكانت المعجزة .

ومع هذا فقد أفتى الإمام جعفر الصادق بأن السارق الذى دفعته الحاجة إلى السرقة لأنه لايعمل ، فولى الأمر هو المسئول ، وأن السارق إذا سرق لأنه لايحصل على الأجر الذى يكفيه هو وعياله فالذى يستغله أولى بقطع اليد .

* * *

هذا عن السرقة :

نأتى إلى الحالة الأخرى : الزنا

لقد أحاط القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، هذه الخطيئة باحتياطات وشروط تجعل إثباتها أمراً عسيراً إن لم يكن مستحيلا من الناحية العملية .

من هذا أن التبليغ يقوم به أربعة لا واحد .. والأربعة يشترط أن يكونوا **عدولا صادقين .**

التبليغ لايقوم بالدلالة النظرية أى وجود رجل وامرأة فى حجرة واحدة بل بالرؤية الواقعية للواقع المحدد وهذا أمر مستحيل فى العادة .

المبلغ الذى توجد ثغرة فى تبليغه **يجلد هو نفسه ثمانين جلدة ..**

يقضى عليه أدبيا واجتماعيا

ترد شهادته أمام القضاء

يوصم بالفسق

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء **فاجلدوهم** ثمانين جلدة ، **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا** ، وأولئك هم الفاسقون) (١)

---

(١) النــور ٤ .

يقول الشيخ محمد عبدالله دراز (لسنا نجد فى السنة مثالا واحدا قامت فيه الإدانة بالزنا على الشهادة بل إن الحكم صدر على أساس من الإقرار التلقائى للمذنب نفسه) .

وحتى هذا الإقرار التلقائى ، **لايكفى فى ذاته لكى يفرض إدانة بل** يجب التأكد من :

• أن المعترف **يدرك تماما ما يقول** أى أن الأمر بالنسبة إليه لايعنى مطافاً تعبيراً مجازيا . زنا بالقلب أو بالعين إلخ .

• أن يصر المعترف على إقراره حتى النهاية

• ألا يكذبه مطلقاً بإنكار لاحق .. .. صريح أو ضمنى .

ومع هذا نجد كثيراً من الفقهاء **لايرتبون على هذا الاقرار أثراإلا بشرط أن يتكرر أربع مرات ، فى موضع الشهود الأربعة(١)**

ثم بعد هذا كله تظل القاعدة القائلة **ببراءة كل فرد** هى **الأساس الأول** حتى يقف أمامها يقين عكسى ،أى تستنفد كل الفروض المعقولة لمصلحة المتهم .

وهناك أمر جدير بالاعتبار وهو :

أن التشريع الإسلامى

لايطلب كشف الجرائم الخاصة

لايلزم أحدا بالاعتراف ولا يدعوه إليه

فالقرآن الكريم ينهى عن التجسس وتتبع عورات الناس

والرسول عليه السلام يقول (من أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه) .

ويقول (إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا) .

---

(١) انظر صحيح البخارى . كتاب الحدود ـ باب ١٤ .

ويقول فيما روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : (بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أسلم ، يقال له : هرال : (ياهزال ، لو سترته بردائك لكان خيرا لك) (١)

ويقول : (تعافوا الحدود بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب) (٢)

وقد تباطأ الرسول فى اعتراف « ماعز » حتى إذا أصر على اعترافه ، لم يحرمه ، إنساناً من الخير وكرائم المعانى فأكبر شجاعته ، وتوبته إلى الله وعودته إلى القيم فقال فى حنان (لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتها) .

وفيما عدا السرقة والزنا فان التشريع الإسلامى **لم يحرص على توصيف العقوبات** . وهناأى فى المخالفات الأخلاقية الأخرى التى هى دون هاتين الجريمتين ببشاعتها ، يستلهم القاضى المسلم ضميره ، ويستفتى قلبه ... هنا يغدو القاضى المسلم طبيبا يراعى الحالة النفسية والدافع الخاص وظروف البيئة الخاصة والعامة حتى ليجوز له أن يلجأ إلى النصيحة الخيرة والتوجيه الطيب ، ليس هذا فحسب (بل إن من حق القاضى ، وربما من واجبه — أن يغضى بكل بساطة عن بعض الأخطاء القليلة حين تقع من إنسان ذى خلق . وقد ورد فى ذلك أثر منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لايرقى إلى مرتبة الصحة العالية ، قال (أقيلوا ذوى الهيئات) أو ذوى الصلاح ، عثراتهم ، إلا الحدود . ((٣)

وإذا كان هذا موقف الإسلام فى الخطيئة والرذيلة فقدر يابنى أى طهر يكون عليه موقف الإسلام فى فضيلة الفضائل وهى الأمومة والأم .

---

(١) الموطأ — كتاب الحدود باب/١ .

(٢) أبو داود : ذكره السيوطى فى الجامع .

(٣) انظر (دستور الأخلاق فى القرآن) .

انظر : أبو داود ، ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ٤٨/١ ، ط دار الكاتب العربى . والحديث مروى عن عائشة فى مسند أحمد .

الأم

لم يعط دين للمرأة من الحقوق ما أعطاها الإسلام... لقد أعطاها مالم تبلغه القوانين الوضعية بعد أربعة عشر قرنا فى شرق وغرب .

أبدأ بالأم

لقد حث على رعاية الوالدين وقرن طاعتهمابطاعة الله (وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما .واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

ومع كل هذا التكريم الذى لامزيد عليه... هذا التكريم المداف فيه الرحمة والحنان والرقة ولين الجانب، زاد الإسلام فى رعاية الأم بما حملت الابن (وهناعلى وهن) ويذهب رجل يسأل رسول الله عليه الصلاةوالسلام: من أحق الناس برعايتى يارسول الله ؟ فيقول على الفور : أمك ، ثم من ؟

فيقول صلى الله عليه وسلم : أمك

ثم من ؟

فيفول الرسول الكريم : أمك

ثم من ؟

فيقول : أبوك

ويتأسى أئمة الإسلام بأدب الإسلامفيحترم الإمام أبو حنيفه النعمانأمهحتى ليقف إذا — دخلت عليه الحلقة امرأة تستفتيه ويسدل دونها ستر ، ليحفظها من عيون الرجال ويجيبها عما تسأل ... وهو فى هذا ينبع عن حبه العميق لأمه وحرصه على رضاها وفهمه العميق لروح الإسلام ...

وكان مع أمه يخفض لها جناح الذل من الرحمة .

كان يحملها على دابة ويسير بها الأميال لتصلى خلف أحد الفقهاء ، وكان الرجل يرى أن أبا حنيفة أفضل منه ولكن أم الإمام الأعظم كانت تعتقد بفضل هذا الفقيه !

وكانت الأم لا تقتنع بفتوى ابنها الذى يقصده الناس مسترشدين فتأمره أن يحملها إلى أحد الوعاظ فيلبى طائعا عن طيب خاطر . ويخجل الواعظ نفسه ويقول لها : كيف أفتى ، ومن ، ابنها ، فقيه الكوفة ؟

ومع هذا حرص أبو حنيفة على ألا يرد لها طلبا إلا مرة واحدة فى سبيل الله ، وذلك حين ذاق أهوال العذاب فى سبيل رأيه فأشفقت أمه وطلبت منه أن يتفرغ للتجارة وينصرف عن الفقه وقالت له : ما خير علم يصيبك بهذا الضياع ؟ فقال لها : (إنهم يريدوننى على الدنيا وأنا أريد الآخرة وإنى أختار عذابهم على عذاب الله)

رفض الإمام الأعظم مناصب السلطان . عرض عليه الأمويون منصب القاضى فرفضه فسجنوه وعذبوه فى السجن ، وظلوا يضربونه كل يوم بالسياط حتى ورم رأسه ... ومع ذلك أصر على موقفه ولم يقبل المنصب لأنه كان يرى المشاركة فى عهد يدينه بالظلم والغصب ، إثما .

وفى السجن تذكر أمه الحزينة فبكى ... وسأله جاره فى السجن عما يبكيه وهو الذى لا تلين له قناة فقال من خلال الدمع :

(والله ما أوجعتنى السياط ولكن تذكرت أمى فآلمتنى دموعها) .

* * *

وكان الإمام الشافعى بعد أن جاوز العشرين من سنه ، يملك القدرة على اختيار شيوخه فى المسجد الحرام ، يسأل أمه النصيحة ويعمل بها فتشير عليه بأسماء الشيوخ ، وكانت حافظة للقرآن بصيرة بأحكام الشريعة إلى الحد الذى استطاعت معه أن ترد قاضى مكة حين استدعاها للشهادة وأراد أن يفصل

بين شهادتها وشهادة الشاهدة الأخرى فأبت إلا أن تشهد إحداهما أمام الأخرى وذكرته بالآية الكريمة (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) .

كم كان الشافعى بارا بها إذا أقام . مستأذنا لها إذا رحل . بل بارا بمكة بلدها حتى أنه حين دان له الغنى ، تصدق بنصف ما معه على فقراء مكة تمهيداً لوصية أمه (أن يتصدق على الفقراء بنصف ما معه كلما قدم إلى أم القرى)

كان الإمام أحمد بن حنبل فى الخامسة عشرة من عمره . وجاء إلى بغداد عالم عظيم وأقام على الضفة المقابلة لدار أحمد بن حنبل . وفاض نهر دجلة وأغرق ما حوله حتى ترك الرشيد قصره وركب طلاب العلم الزوارق إلى دار العالم الوافد وتنادوا على أحمد بن حنبل ولكنه رفض العبور معهم قائلا :

— أمى لا تدعنى أركب الماء فى هذا الفيضان .

كان خائفا عليها القلق أكثر من خوفه على حياته . وعاد إليها لتطمئن عليه .

كان يحفظ لها فضل الانقطاع لتربيته رافضة راغبى الزواج منها مع غنى بعضهم ، إيثاراً له هو ....فرفض بدوره الزواج إلا بعد أن ماتت ، وكان قد بلغ الثلاثين فى بيئة يتزوج أبناؤها صغاراً ، وذلك حتى لا تدخل داره ، سيدة أخرى ؛ تنازع أمه السيادة على الدار .

إنه الإمام الذى روى عن الصحابة والتابعين أنه إذا استأذن ولد ، والدته للخروج مجاهداً فى سبيل الله ، فأذنت له ، وعلم أن هواها فى المقام ، فليقم .

يتحدثون يابنى كثيراً عن البروتوكول الذى ابتدعه الغرب لقصور الملوك .. وليس جديداً بل هو حركات مرسومة ظاهرية (لزوم الشىء) . أما الإسلام فقد رسم الصورة المثلى للإنسان كما يتمناها المثل الأعلى .

الإنسان فى الإسلام ، عطاء صادق (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) (١)

---

(١) الليل : ٤ — ١٠ .

بل إيثار فيه (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١)

وفى السراء والضراء (... أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء) (٢)

وبلا تفرقة (ويطعمون الطعام ، على حبه ، مسكينا ويتيما وأسيراً) (٣)

وتعبير **(على حبه)** فيه سبر لأغوار النفس، وفيه تعميق للعطاء فهو لا يعطى غير محبوب أو أثير .

العطاء فى نبل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٤)

عطاء الأحسن الذى تشتهيه النفس لذاتها .

والعطاء خفية لارئاء الناس ، ولا رياء المجتمع ، ولا اشتهاء التفاخر ، ولا ابتغاء الثناء .

(إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم سيئاتكم) (٥) .

كان الإمام جعفر الصادق يقول (لايتم المعروف إلا بثلاثة **بتعجيله وتصغيره وستره)**

كان الإمام أبو حنيفه النعمان إذا سمع بضائقة أسرع إلى صاحبها ووضع أمام بابه، بصرة ، ونبهه أنه وضع على بابه شيئا. ويسرع قبل أن يفتح صاحب الحاجة ، الصرة .

واشترى الإمام الليث بيتا من أحد أقباط مصر ثم علم أن صاحب البيت باعه لأنه محتاج فبكى وترك له البيت والثمن وأجرى عليه رزقا !

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) آل عمران : ١٣٤ .

(٣) الانسان . ٨ ــ ٩ .

(٤) آل عمران . ٩٢ .

(٥) البقرة : ٢٧١ .

ثم أعلن فى الناس أن ولى الأمر آثم إن ترك أحدا فى دار الإسلام له حاجة ، مسلما أو غير مسلم .

والعطاء فى غير منّ أو أذى

(الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ، ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل ، فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين) (١)

ومن العطاء الكريم **حسن الاستماع** . إنه استضافة رأى

(فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (٢)

ومن الكرم إرجاء الدين أو الإعفاء منه تصدقاً وصدقاً .

(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم) (٣)

حين لجأ الإمام أحمد بن حنبل إلى الاقتراض ، أدرك بعض دائنيه ضيق حاله فأبى عليه رد الدين قائلا :

ــ مادفعتها وأنا أنوى أن آخذها منك

فقال الإمام أحمد :

ــ وأنا ما أخذتها إلا وأنا أنوى أن أردها إليك .

أخلاق إسلامية نبع منها تصرف الدائن والمدين .

* * *

ومن العطاء والإنفاق : **العفو**

---

(١) البقرة : ٢٦٢ ــ ٢٦٤ .
(٢) الزمر : ١٧ ــ ١٨ .
(٣) البقرة : ٢٨٠ .

(ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : **العفو**) (١)

لقد أصاب وزير المأمون ابن أبى دؤاد ، الإمام أحمد بن حنبل بالأذى المهلك فى محنة القول بخلق القرآن ... لقد بلغ الأمر أن دفع أعوانه فعلقوه وضربوه وهو العالم الفقيه الإمام ! ! .

واستد عليه الألم والإيلام وهو صائم، وطرحوه على وجهه وداسوه بالنعال حتى أغمى عليه وسال دمه . وعندما أفاق نظر إليهم فى غير اكتراث بل نظر اليهم فى ازدراء دون أن يتزحزح عن موقفه الذى يعتقد أنه الحق والحقيقة .

ويقول أحد الدين عذبوه : (ما كنا فى عينه إلا كأمثال الذباب)

ومع هذا كله ، يابنى ، كان الإمام أحمد بن حنبل بعد أن أفرج عنه ، لايسمح لأحد أن يجرح أبا دؤاد أمامه ! ! بل بكى الإمام أحمد عندما علم أن ابن أبى دؤاد فجع بفقد ولده ! !

نقاء فوق طاقة البشر .. نعم ... ولكنه الإسلام روحا وجوهرا .

ومن العطاء ، **بشاشة الوجه** فرسول الإسلام عليه السلام يقول : (كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) .

الإنسان فى الإسلام يابنى ، **نفس زكية** :

(قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) (٢)

الإنسان فى الإسلام ضمير (أواب حفيظ).. إنه (من خشى الرحمن بالغيب) (٣)

---

(١) البقرة ٠ ٢١٩ ٠
(٢) الشمس : ٩ ــ ١٠ ٠
(٣) ق : ٣١ ــ ٣٣ ٠

الإنسان فى الإسلام حيي يغض الطرف ، ويحفظ العرض ، عرضه وعرض الآخرين (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون .. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..) (١)

الإنسان فى الإسلام **متعفف حتى فى الحرمان** :

(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) (٢)

الإنسان فى الإسلام **أمين** ، إذا اؤتمن أدى وأوفى

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (٣)

(فليؤد الذى اؤتمن أمانته) (٤)

وفىّ إذا تعاقد ، أو **وعد** ، أو **عهد**

جاءت امرأة أبا حنيفة النعمان تبيع له ثوبا من الحرير وطابت ثمنا له ، مائة دينار . وعندما فحص الثوب قال لها « هو خير من ذلك فزادت مائة ثم زادت حتى طلبت أربعمائة فقال لها : هو خير من ذلك فقالت (أتهزأ بى ؟) فقال لها « هاتى رجلا يقومه » فجاءت برجل فقومه بخمسمائة .

وهكذا طبق الرجل التقى ، الآية الكريمة :

(لا تبخسوا الناس أشياءهم)

حتى وهو فى حل من التطبيق . فهى التى عرضت الثمن لثوبها .

وأرادت امرأة أخرى أن تشترى منه ثوبا فقال :

(خذيه بأربعة دراهم (فقالت له : (لا تسخر منى وأنا عجوز) فقال لها : (إنى اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم. فبقى هذا الثوب على أربعة دراهم) .

---

(١) النور : ٣٠ ـ ٣١ .
(٢) النور : ٣٣ .
(٣) النساء : ٥٨ .
(٤) البقرة : ٢٨٣ .

وذهب إلى حلقة العلم يوما ، وترك شريكه فى المتجر، وأعلمه أن ثوبا معينا من الحرير به عيب خفى وأن عليه أن يوضح العيب لمن يشتريه . أما الشريك فباع الثوب دون أن يوضح العيب !

وظل أبوحنيفة يبحث عن المشترى ليدله على العيب، ويرد إليه بعض الثمن ، ولكنه لم يجده ، فتصدق بثمن الثوب كله ، وانفصل عن شريكه ...

هذا هو المسلم الحق .. وهذا هو الإسلام الصحيح .

(يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (١)

(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) (٢)

(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) (٣)

الإنسان فى الإسلام ، **عادل فى حياته** :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٤)

صريح **صادق فى قوله ، عادل فى شهادته ، نبيل إذا أداها** ومن العدل ألا يشهد الزور ..

اتهم الخليفة المنصور ، الإمام جعفر الصادق بأنه يجمع الزكاة .. وجمع الزكاة حق للخليفة وحده فهو إذن يطمح إلى الخلافة ويطمع فى الحكم . مع أن الخليفة يعرف جيداً اعتزاز الإمام بعلمه، واستعلائه على الحكم حتى لقد أرسل إليه المنصور نفسه (لم لاتغشانا كما يغشانا الناس؟) فكتب إليه الإمام جعفر : (ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت فى نعمة فنهنئك ، ولا نراها نقمة فنعزيك) .

فكتب إليه المنصور ثانية (من أراد الدنيا لاينصحك، ومن أراد الآخرة لايصحبك .

---

(١) المائدة : ١ .
(٢) الاسراء : ٣٤ .
(٣) البقرة : ١٧٧ .
(٤) النحل : ٩٠ .

ومع هذا كله اتهم الخليفة الإمام جعفر الصادق ! !

وشهد ضد الإمام ، شاهد زور فكذبه الإمام .

ودار حوار طويل ، اقتنع الخليفه ، بعده ، بصدق الإمام... حوار حلف فيه شاهد الزور كذبا فما راعه إلا غضب الخليفةعليه وغضب الله أكبر فسقط ميتا .

وفى دماثة المؤمن التقى ، دعا الإمام للشاهد بالرحمة

وحطت ذبابة على وجه الخليفة لم يفلح فى إبعادها فسأل : لماذا خلق الله الذباب ؟ فقال الإمام ساخراً كالجاد أو جاداً كالساخر :

— ليذل به الجبابرة .

وهكذا أودت شهادة الزور بقائلها حين كتب الله النجاة للبرئ .

وفى موقف آخر يابنى ، كتبت شهادة الحق ، الحياة ، لقاتل مقدر عليه الإعدام فليس كالصدق ، منج .

حدث فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن أتوه برجل وجد فى خربة بيده سكين ملطخ بالدم ، وبين يديه قتيل يشخب دمه فلما سئل قال « أنا قتلته » فقال الإمام على :

— اذهبوا به فاقتلوه بما فعل .

وإذا برجل يعدو مسرعاً قائلا (لاتعجلوا .. ردوه إلى أمير المؤمنين) وأمام الخليفة اعترف القاتل الحقيقى . وهنا التفت الخليفة إلى الرجل الأول وقال :

— ما حملك على الإقرار بذنب لم ترتكبه ؟ فقال :

— ياأمير المؤمنين . أنا قصاب وقد ذبحت بقرة ثم دهبت إلى الخربة ، أقضى حاجة فاذا بالعسس يرون السكين فى يدى فأدانونى بظاهر أمرى فخشيت ألا يقبل منى إنكار .

أما القاتل الحقيقى فكان لصا قتل ليسرق وصحا ضميره فجأة حتى لايبوء بقتل اثنين بدلا من واحد . وهنا أخلى الخليفة الفقيه ، سبيله قائلا :

— لئن كان قد قتل نفسا ، فقد أحيا نفسا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .

وأخرج الدية من بيت المال .

وهكذا يابنى ، ينجى الصدق حتى فى حالة ثبوت الجريمة .

ومن الشجاعة ، فى الإسلام ، **الصراحة**

(ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) (١)

(وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى) (٢)

(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) .

وهنا يرتفع الإسلام فى النزاهة إلى ذروة لايشابهها ، مثال .

وحين سابق ابن عمرو ، فتى مصريا وسبقه المصرى ، ضربه قائلا بنخوة جاهلية فيه : أتسبق ابن الأكرمين ؟!

شكاه المصرى إلى الخليفة عمر بن الخطاب فأحضر عمرا وابنه وأعطى المصرى عصا وقال له :

اضرب ابن الأكرمين .

وخجل ،منحضرا ،ولكن الخليفة العادل أصر على أن يضرب غريمه .. ففعل .

ولم يكتف الخليفة المتألم بهذا ، بل ثنى فقال للمصرى :

الآن اضرب عمرا نفسه فما كان ابنه يجرؤ على هذا إلا بموافقته .

فقال المصرى ممتنا شاكرا مأسوراً مبهوراً :

---

(١) البقرة : ٢٨٣ . (٢) الانعـام : ١٥٢ .

اقتصصت ياأمير المؤمنين ممن أهانني .

فالتفت الفاروق عمر بن الخطاب الذى فرق الله به بين الحق والباطل، إلى عمرو قائلا فى تبكيت وتأنيب :

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً !)

وكانت كلمته النبيلة ، علامة

فى التاريخ الإسلامى

وفى تاريخ عمر .

إن العدل فى الإسلام ينسحب على الناس أجمعين حتى الذين يخالفون المسلمين فى الدين من أهل الذمة والكتاب .

لقد كان للإمام الليث فى مصر صداقات معقودة ومودات حميمة مع مواطنيه من الأقباط وهو فقيه الإسلام وفقيه مصر الذى لايبرم واليها أمراً، دونه . كان يحضهم على نقل ثقافة مصر إلى اللغة العربية . كان يحترم أهل الديانات السماوية فقد جاء الإسلام مكملا لها .

كان الليث فى عمق إسلامه ، للأقباط ، فى مصر سحابة عادته فيها : ظل ورى ....

لأنه يعرف الإسلام فقها وتاريخا ، ارتفع إلى ذروه مليا ومتأسيا فقد أبى عمر ابن الخطاب أن يصلى فى كنيسة بيت المقدس حتى لايرخص بهذا للمسلمين وحتى تبقى للكنيسة ذاتيتها وحرمتها . وامتدت حمايته رضى الله عنه إلى أوقاف الكنائس وأموالها وأقره الصحابه بالإجماع فغدا صنيعه مبدأ وشرعه .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يقول (من آذى ذميا فأنا خصمه)

ويستمع عمر بن الخطاب إلى نداء النبوة فيقول لعمرو بن العاص حين فتح مصر :

(احذر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك)

الإنسان فى الإسلام مسئول يحاسب على الشر ، ويجزى عن الخير .

(ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) (١)

(ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) (١)

ومن الشفاعة ، **السعى بالصلح بين المسلمين** ليكونوا ، إخوانا

(إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم) (٢) .

ومن التقوى ، **إصلاح ذات البين** .

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) (٣)

(لاخير فى كثير من نجواهم إلامن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) (٤)

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٥) .

* * *

الإنسان فى الإسلام ، **دمث متواضع**

كان الإمام جعفر الصادق له غلام كسول نؤوم . أرسله يومافى حاجة فغاب وخشى الإمام أن يكون الغلام أصابه شر ، فخرج يبحث عنه فوجده على قارعة الطريق يغط فى النوم. فجلس الإمام عند رأسه ودنا منه حانيا عليه وهو يوقظه فى رفق حتى إذا استيقظ ، هش له وقال ضاحكا :

(تنام الليل والنهار ؟ لك الليل ولنا النهار) .

إنها دماثة العلماء .

أما تواضع العلماء وأمانتهم وصدقهم معأنفسهم ، ومع الناس ،فتشهدبها هذه القصة :

جاء رجل من أهل المغرب ، الإمام مالك بن أنس ليسأله عن مسألة ، موفدا من أحد فقهاء المغرب فقال مالك :

---

(١) النساء : ٨٥ .
(٢) الحجرات : ١٠ .
(٣) الانفال : ٩ .
(٤) النساء : ١١٤ .
(٥) آل عمران : ١٠٤ .

(أخبر الذى أرسلك أن لاعلم لى بها) .

فأخبره الرجل أنه جاء من مسيرة ستة أشهر ليسأل عن هذه المسألة. فقال مالك :

(ما أدرى وما ابتلينا بهذه المسألة فى بلدنا وماسمعنا أحداً من أشياخنا عنها ولكن تعود غداً) .

وظل مالك يفكر فى المسألة ويقرأ ما يمكن أن يتصل بها حتى إذا كان الغد جاءه الرجل فقال له مالك :

— سألتنى وما أدرى ما هى .

فقال الرجل : (ليس على وجه الأرض أعلم منك وماجئتك من مسيرة أشهر إلا لذلك) .

فقال مالك : لا أحسن .

وهذا لون من الشجاعة ومن الصدق بل ومن العلم (فمن قال لا أدرى فقد أفتى) .

ولا غرو ، إنه الإمام مالك الذى عرض عليه أصحابه ومشايعوه عندما اختلف مع أستاذه ربيعة أن يستقل بحلقة فأبى إلا أن يطوف على سبعين أستاذا من أصحاب الحلقات والشيوخ فى المسجد النبوى يعرض عليهم فقهه ويستأذنهم فى أن يجلس ليعلم الناس . فلما أجازوه لم يختلف عليه منهم أحد ، سمح لنفسه أن يجلس مجلس الإفتاء ويستقل بحلقه.. ومع هذا لم يتردد حين أحس أنه لايعرف ، أن يقول :

— لا أحسن .

كما رأينا .

* * *

الإنسان فى الإسلام ، دمث يستمع إلى نداء الآية :

(واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) (١)

لاينادى من الخارج :

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون) (٢)

الإنسان فى الإسلام ، **كبير القلب** ، لايسيء اليتيم والمحتاج

(فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر) (٣)

إنسان عفو ، متسامح .

(والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس) (٤)

(وإذا ما غضبوا ، هم يغفرون) (٥)

حقا شرع الإسلام ، القصاص ، لأنه يعلم طبيعة النفوس .ولكنه رغّب فى العفو .

الإسلام دائما يبدأ بالواقعية وينتهى بالمثالية .

(والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (٦)

والتسامح فى الدنيا يلطف البغضاء وقد يجب العداوة .

وهو فى الآخرة ثواب عظيم .

(ويدرؤون بالحسنة ، السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار) (٧)

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه ، عداوة كأنه ولى حميم) (٨) .

---

(١) لقمان : ١٩ .
(٢) الحجرات : ٤ .
(٣) الضحى : ٨ ــ ٩ .
(٤) آل عمران . ١٣٤ .
(٥) الشورى : ٣٧ .
(٦) الشورى : ٣٩ ــ ٤٣
(٧) الرعد : ٢٢ .
(٨) فصلت : ٣٤ .

هده الآية كان يرددها الإمام جعفر الصادق كلما أساء إليه أحد ، ويردد معها قول حده العظيم الرسول عايه الصلاة و السلام :

(ماراد عبد بالعفو إلا عزا) .

وما انتقم الإمام جعفر الصادق من أحد فط ، وكان يرى فى الانتقام مع القدرة ذلا . والكريم لايذل ولا يذل .

(وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولاتنسو الفضل بينكم) (١)

* * *

كان الإمام أبو حنيفة النعمان، مع شدته على الأقوياء ولو ملكوا زمام الحكم ، يحنو على الخطأ، فالمخطئ إما جاهل وإما إنسان داخله مشروخ .

كان له حار يسكر الليل ويرفع عقيرته بالغناء ، قائلا :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد نغر

وكان صوت الجار يفسدجو الصمت الدى يحبه ويعمل فيه آبو حنيفة . وفى ليلة لم بسمع صوت الجار السكير فخشى أن يكون أصابه مكروه ، وهو الذى يؤرقه ! ! فلما أسفر الصبح ، سأل عنه فعلم أنه قبض عليه فى حالة سكر وأودع السجن . وهنا سعى أبو حنيفة إلى الوالى فأطلق سراح السكير .

وحين كانا فى الطريق عائدين التفت إليه أبو حنيفة باسما :

— يافتى هل أضعناك ؟ فقال له :

— بل حفظتنى وأنقذتنى رعاك الله .

ومازال به أبو حنيفة يبصره بالطريق القويم حتى آقلع عن الشراب ، وصحت توبته ، وغدا من رواد حلقات العلم ثم تفقه ثم صار من ففهاء الكوفه .

بل كان الإمام أبو حنيفة يعرض عن الجاهلين . بل أكثر من هذا يقول لهم سلاما .

---

(١) البقـرة : ٢٣٧ .

كان أعداؤه ومخالفوه فى الرأى يغرون به السفهاء والمتعصبين والمتهوسين ويدفعونهم إلى اتهامه بالكفر وإلى كيل السباب له، فيبتسم منهم ويبتسم لهم فى إشفاق.

وحدث أن تمادى أحدهم فى غيه، وغره حلم الإمام فأقذع. ولم يرد الإمام عليه ... وعندما فرغ من درسه وغادر الحلقة، ظل السفيه يتابعه بوابل من غث الكلام ... والإمام ماش فى طريقه لايلتفت إليه.. حتى إذا بلغ داره، تمهل عند باب الدار قائلا للسفيه:

— هذه دارى فأتم كلامك وأفرغ جعبتك.. هات ما عندك لايفوتك سباب تحرص عليه حتى إذا استرحت، دخلت دارى لأستريح.

* * *

الإنسان فى الإسلام دمث يستأذن فى الدخول (يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، والله بما تعملون عليم، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم، والله يعلم ما تبدون وماتكتمون) (١).

فاذا دخل حيا :

(فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (٢)

وإذا حياه إنسان، رد التحية بأحسن منها

(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (٣)

وإذا جلس، أفسح :

(يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا، يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا) (٤)

---

(١) النور : ٢٧ ــ ٢٩ .   (٢) النور : ٦١ .
(٣) النساء : ٨٦ .   (٤) المجادلة : ١١ .

وإذا تحدث اختار خير موضوع

(وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون) (١) .

وفى الموضوع ، اختار خير تعبير :

(وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ، إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) . (٢)

من حقك أن تختلف يابنى ولكن دون أن تسيل دما أو تنكأ جرحاً . لقد كان أئمة الإسلام يختلفون فى الرأى ويحتفظ كل منهم للآخر بتقديره له والإعزاز . فقد اختلف الإمام الليث مع الإمام مالك فى سبعين مسألة من مسائل الفتيا دون أن تنقطع عنه هداياه ورسائله . وكان مع الخلاف يقول عنه (مالك وعاء العلم)

واختلف مع الإمام مالك ، تلميذه الشافعى ولكنه كان يقول :

(إذا ذكر الحديث فمالك هو النجم الثاقب)

وسمع الإمام الشافعى صاحبا له يقول : فلان كذاب .

فقال : لاتقل (كذاب) بل حديثه غير صحيح .

* * *

الإنسان فى الإسلام **صادق مع نفسه ومع الناس :**

(من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام) (٣)

المسلم **لايرائى** حتى فى الإنفاق :

(والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) (٤)

---

(١) المجادلة : ٩ .
(٢) الاسراء : ٥٨ .
(٣) البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .
(٤) النساء : ٣٨ .

والمسلم لاينافق :

كان الإمام جعفر الصادق يقول للناس (إذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا للسلاطين فاتهموهم)

وتخوف بعد قوله كثير من الفقهاء أن يذهبوا إلى الحكام في غير ضرورة.

ورد الإمام أبو حنيفة شهادة وزير الخليفة لأنه سمعه يقول للخليفة : (أنا عبدك) . فلما عاتبه الخليفة ، رد عليه :

— سمعته يقول فى مجلسك : أنا عبدك

فإذا كان صادقا فلا شهادة لعبد ،

وإن كان كاذبا منافقا ، فلا شهادة لكذاب أو منافق .

احتذى حذوه تلميذه القاضى أبو يوسف مع وزير آخر منافق لخليفة آخر .

أما الإمام مالك فقد زاره أحد الولاة فى بيته يسأله النصيحة فاذا ببعض الحاضرين يسترسلون فى مدح الوالى فغضب الإمام مالك وهو الحليم الواسع الصدر ، وصاح فى الوالى وهو الخفيض الصوت : (إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك ، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك ، أوشك ان يقول فيك من الشر ، ماليس فيك .. إنك أنت أعرف بنفسك منهم . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (احثوا التراب فى وجوه المداحين) .

* * *

المسلم **لايعبد غير الله...ولا يستعبد، من خلق الله** : (وما أدراك ما العقبة؟ فك رقبة) (١)

المسلم لايختال مغرورا :

(ولاتمش فى الأرض مرحا ، إن الله لايحب كل مختال فخور) (٢)

---

(١) البلد : ١٢ ــ ١٣ .   (٢) لقمان : ١٨ .

قال أحد الناس للإمام أحمد بن حنبل : (جزى الله الإسلام عنك خيرا) فغلبه الحياء وقال :

— (جزى الله الإسلام عني خيراً ؟! ومن أنا ؟ ومن أنا ؟)

(ولاتمش في الأرض مرحا ، إنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولا) (١)

ما أضعفه هذا الإنسان وما أولاه بالسخرية إذا غرته نفسه أو اغتر بها .

المسلم لايتعالى مستكبرا ، ولا يحتقر من دونه (إنه لايحب المستكبرين)(٢) (ولا تصعر خدك للناس) (٣)

والكبر غير الكبرياء فاحترام النفس فضيلة أكدها ، بسلوكهم وأعمالهم ، أئمة الإسلام . فكانوا ينهون عن غشيان مجالس السلطان ومدح الحكام ، بل كان الإمام الليث إذا استدعاه أحد الولاة ليسأله عن شيء من العلم ، رد عليه الليث :

— ائتني أنت فان مجيئك إليّ زين لك . ومجيئي إليك ، شين علي فيسعى إليه الوالي طائعا .

المسلم لايسخر من الناس :

(يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولاتنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (٤) .

---

(١) الاسراء : ٣٧ .
(٢) النحل : ٢٣ .
(٣) لقمان : ١٨ .
(٤) الحجرات : ١١ .

ومن الظلم **التقاعس** وعملقة القزمية، فالله تعالى فى كتابه الكريم يقول:
(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا **مستضعفين فى الأرض**، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا .

والظالم خائب بغيض له عذاب كبير :

(وقد خاب من حمل ظلما) (١)

(إنه لا يحب الظالمين) (٢)

(ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيراً) (٣)

ويتبع هذا **عدم قبول الظلم** إباء وكبرياء :

(لاتظلمون ولا تظلمون) (٤)

* * *

المسلم **لايمدح نفسه** ، **على** عادة الشعراء :

(ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكى من يشاء) (٥)

ولايقرب غير مشروع من الكسب :

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) (٦)

ولا يرابى :

(يمحق الله الربا ويربى الصدقات(٧)

والتعفف فى المال يطالب به الإسلام ، الغنى والفقير على السواء :

(ومن كان غنيا فليستعفف ،ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف(٨))

---

(١) طـه : ١١١ .
(٢) الشورى : ٤٠ .
(٣) الفرقان : ١٩ .
(٤) البقرة : ٢٧٩ .
(٥) النساء : ٤٩ .
(٦) البقرة : ١٨٨ .
(٧) البقرة : ٢٧٦ .
(٨) النساء : ٦ .

ومن هنا كان الإمام الليث يرفض أن يقبل صاحب منصب هدية .
وكان يجاهر أن الهدية إذا دخلت من الباب ، خرجت العدالة من النافذة .

ولهذا كان ينصح الوالى بالتعفف عن الهدية فان لم ينتصح كتب إلى الخليفة فما يلبث الوالى أن يأتيه ، العزل .

وقد عاتب أحد المعزولين ، الإمام الليث ، فقال : نصحتك فلم تنتصح ومصلحة الرعية أولى ، وماصبرى على ظلم الرعية ؟

وكان المعزول لايملك إلا راتبه ، فأجرى عليه الإمام راتبه من ماله الخاص .

جاء الرسول عليه السلام ، أحد عماله يحمل مالا كثيراً فأدى نصفه واعتبر النصف الثانى حقا له أهدى إليه . فغضب عليه السلام وأخذ المال كله للمسلمين ، وحذر أن يقبل أحد هدية إن تولى أمرا من أمور المسلمين قائلا : (**إن جلس أحدهم فى بيت أبيه** وأمه أكان يهدى إليه **لأنه تولى أمراً ؟ فان استحل مالا** بهذه **الطريقة فقد استحق النار**)

* * *

المسلم لايخادع ولا يغدر :

(إن الله لايحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولايستخفون من الله) (١)

ولا يتجسس :

(ولاتجسسوا) (٢)

كان عم الإمام أحمد بن حنبل يعمل فى خدمة الخليفة الرشيد ويجمع له أخبار بغداد ويسلمها إلى والى البريد ليوصلها إلى الخليفة إذا كان خارج بغداد .

---

(١) النساء : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) الحجرات : ١٢ .

وحدث أن انقطعت الأخبار فأرسل هارون الرشيد إلى الوالى يسأله الخبر. فسأل الوالى بدوره عم أحمد. وكان أحمد فى ذلك الوقت غلاما صغيرا ولكنه كان يحفظ القرآن ويتأدب بأدبه.

وكان عمه يرسله بالأخبار إلى الوالى. فلما سأله عمه:

ــ ألم أبعث الأخبار معك إلى الوالى؟

قال الطفل: نعم

قال عمه: لماذا لم توصلها؟

قال أحمد: رميت بها فى الماء.. أنا أوصل الأخبار؟

وحين سمع الوالى جواب أحمد، خجل من نفسه وقال:

(اللهم غفرانك. هذا غلام يتورع فكيف نحن؟)

الإنسان فى الإسلام **لاينم ولايلمز ولا يغمز ولا ينتقص الآخرين** (ويل لكل همزة لمزة) (١)

(ولايغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) (٢)

لايفعل هذا ولايستمع إليه، ولايسمح به فى حضرته:

(إذ تلقونه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم، ولولا إذ سمعتوه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا، إن كنتم مؤمنين) (٣).

ويقول جل شأنه.

(يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٤)

---

(١) الهمزة: ١. (٢) الحجرات: ١٢.

(٣) النور ١٥ ــ ١٨. (٤) الحجرات: ٦.

المسلم لايقسو على إنسان بظلمه أو اغتيابه أو غمزه أو لمزه، بل المسلم يرحم الحيوان فلا يقسو عليه .

أفتى الإمام أحمد بن حنبل أنه لايحق لإنسان أن يحمل حيوانا فوق طاقته... وأن الكلب إذا حضر طعام أحد فعليه أن يأتى إلى الكلب بشيء منه .

وقد جلس الإمام أحمد يوما يأكل رغيفا وما لديه من طعام غيره. فجاء كلب ووقف قريبا منه فطفق يلقى إليه باللقمة وراء اللقمة ... يأكل لقمة ويعطيه لقمة حتى نفد الرغيف وقد تقاسماه .

وكان الإمام أحمد بن حنبل لايجيز قتل الطير إلا لمصلحة أو حاجه، ولا دودة القز إلا لاستخراج الحرير .

الإسلام يابنى لاضرر ولا ضرار، ومن يفعل ذلك حقت عليه اللعنة فى الدنيا والآخرة .

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا و **كانوا يعتدون** ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون) (١)

الإسلام يابنى سلامى إنسانى ، واسع الأفق :

(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا) (٢)

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣)

ويؤيد هذا قول الرسول عليه السلام (لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى). كان بنو أمية لايطيقون نابغا غير العرب فحاول بعض محبى الإمام

---

(١) المائدة : ٧٨ ـ ٧٩ . (٢) النساء : ١ .
(٣) الحجرات : ١٣ .

أبى حنيفه النعمان أن يستحدث له نسبا عربيا أو ينحله إياه فرفض،لأنه عالم فقيه يدرك تمام الإدراك أن الإسلام للجميع ،وأنه سوى بين الجميع ،وأن الرسول عليه السلام اتخذ من بين صحابته أبا رافع القبطى . وسلمان الفارسى ، وبلالا الحبشى . وكان الرسول عليه السلام يقول (سلمان منا أهل البيت) . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عن بلال « سيدنا بلال » .

* : *

والإسلام يابنى دين ودولة بما شرع للحاكم والمحكوم .فالإسلام يحتم صون مال الأمة وعدم المساس به .

(وما كان لنبى أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) (١)

والحكم فى الإسلام شورى قبل الأنظمة المكتوبة والديمقراطيات .

(وأمرهم شورى بينهم) (٢)

(فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) (٣)

لقد كان الإمام الشافعى يعتبر الشورى **فرضا على الحاكم والمحكوم**، بها، أمر الله ورسوله... وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول فيما لم ينزل فيه وحى (أشيروا على أيها الناس)

وهو النبى ،والرسول ،والذى أدبه ربه فأحسن تأديبه،والذى أنزل فيه (وإنك لعلى خلق عظيم).ومع هذا كله، كان يستشير لتكون سنة من بعده لمن بعده .. وكلنا دونه. ومن هنا وجبت علينا المشورة حكاما ومحكومين .

إن الشورى **حكمة .. وأمانة .. وحق .. وعدل .**

ومن الشورى الاختيار للمناصب التى تتصل بمصير الأمة ومصالحها .

فان الرسول عليه السلام يقول :

---

(١) آل عمران : ١٦١ . (٢) الشورى : ٣٦ ــ ٣٨ .
(٢) الغاشية : ٢١ ــ ٢٢ .

(من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) .

والشورى إيذان بالمسئولية ، واحترام للرأى .

والشورى ضمان للأصوب ، وتقويم يعتدل به الميزان ، أو يؤمن عنده الرجحان .

الإسلام رقى بالإنسان ، وبالمجتمع . إن الرسول عليه السلام حين يقول (إن الله لاينظر إلى الصف الأعوج من صفوف المسلمين ، وإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة) حين يقول هذا نبى الإسلام فانما هى نقطة نظام تحكم تصرفات المسلم فى المسجد وخارجه .

وتبلغ الرهافة ذروتها ، بل وذكاء التفكير ، وحساسية التوجيه فى قول النبى عليه السلام .

(إذا قلت لجارك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت)

والتربية الإسلامية على هذا المستوى الرفيع يرتفع بها المجتمع الذى هو مجموعة أفراد .

هذا فى السلم ، أما فى الحرب فقد نظمها الإسلام أيضاً (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله) .

والحكم فى الإسلام صلاح لا فساد .

(وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لايحب الفساد) (١)

(وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين) (٢) .

---

(١) البقرة : ٢٠٥ .
(٢) القصص : ٨٣ .

الاسلام سلام فى غير استسلام :

(فلا تهنوا . وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم) (١)

(فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (٢)

فى كلمات جامعة يقول لك الرسول عليه السلام (إذا أردت أن يدوم لك الله كما تحب . فكن كما يحب)

هذه . نفط . يابنى . أظهر شرائع الله لاتحتاج إلى تزيد المتزيدين الذين يتلذذون فى التحليل والتحريم كأنهم أوصياء على المسلمين . والإنسان فى الإسلام موصول بالله بلا وسيط .

(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده . والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (٣) .

عرف الإمام جعفر الصادق الزهد بأنه (الاكتفاء بالحلال لا التجرد من الحلال)

وكان الإمام أبو حنيفة يدعو أصحابه إلى الاهتمام بمظهرهم ... وكان إذا قام للصلاة لبس أفخر ثيابه وتعطر .. لأنه سيقف بين يدى الله .

ورأى مرة أحد جلسائه فى ثياب رثة. فدس فى يده ألف درهم وهمس فى أذنه (أصلح بها حالك) فقال الرجل: لست أحتاج إليها وأنا موسر وإنما الزهد فى الدنيا. فقال أبو حنيفة أما بلغك الحديث (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ؟)

وكان أبو حنيفة يلبس أغلى الفراء فى الشتاء ، ويتحلى طول العام بثياب فاخرة ويتعطر ويتنعم بالطيبات من الرزق ، وبزينة الحياة التى أحلها الله لعباده

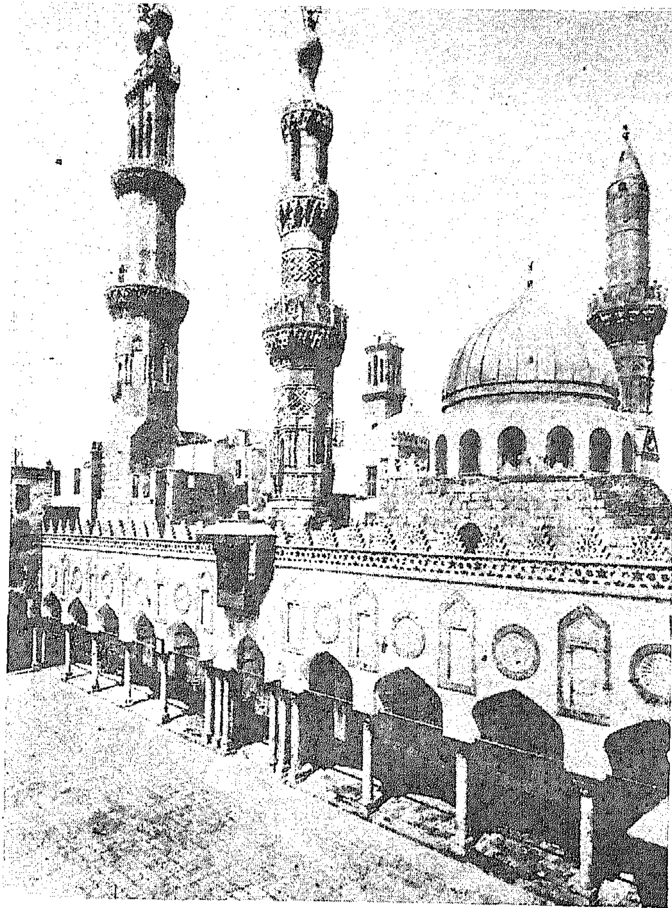
---

(١) محمد : ٣٥ .

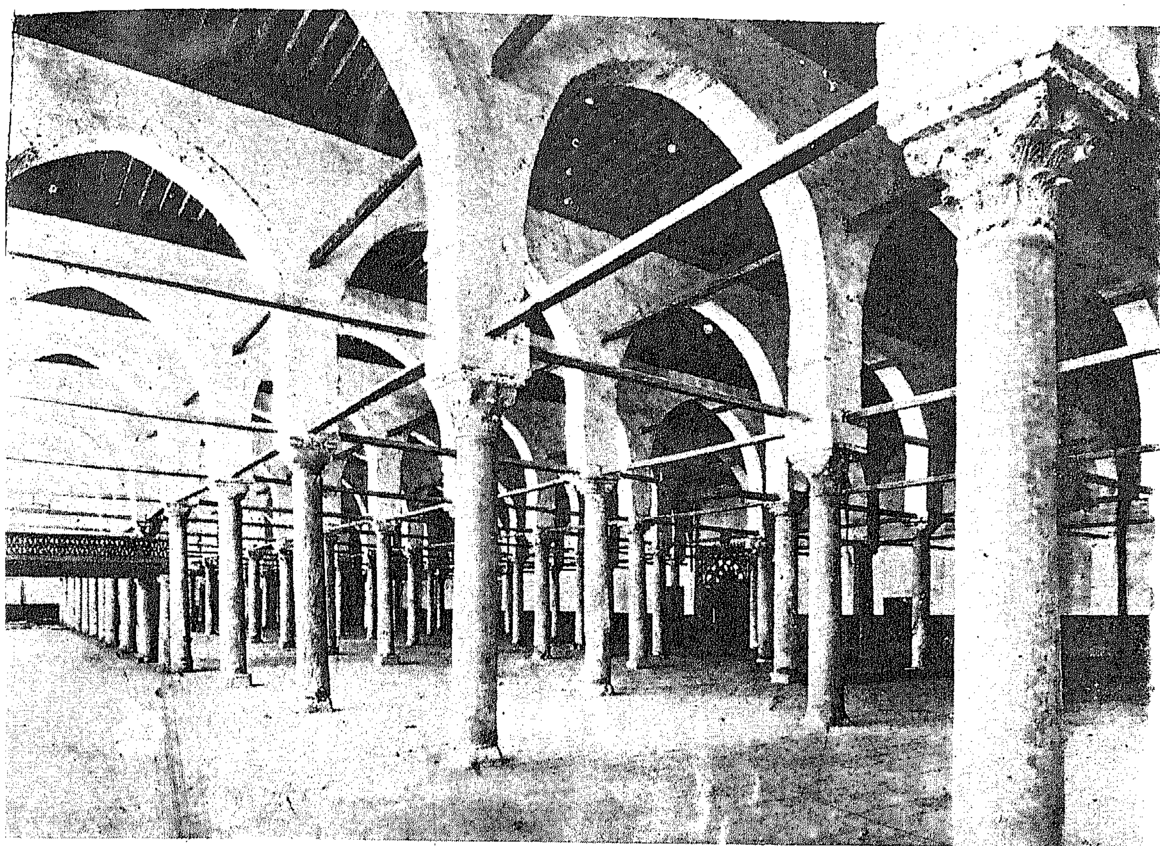
(٢) البقرة ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٣) الاعراف : ٣١ ـ ٣٢ .

هكـــذا ازدهـــر الإســـلام
ديـنـا .. ودولـة .. وحضـارة

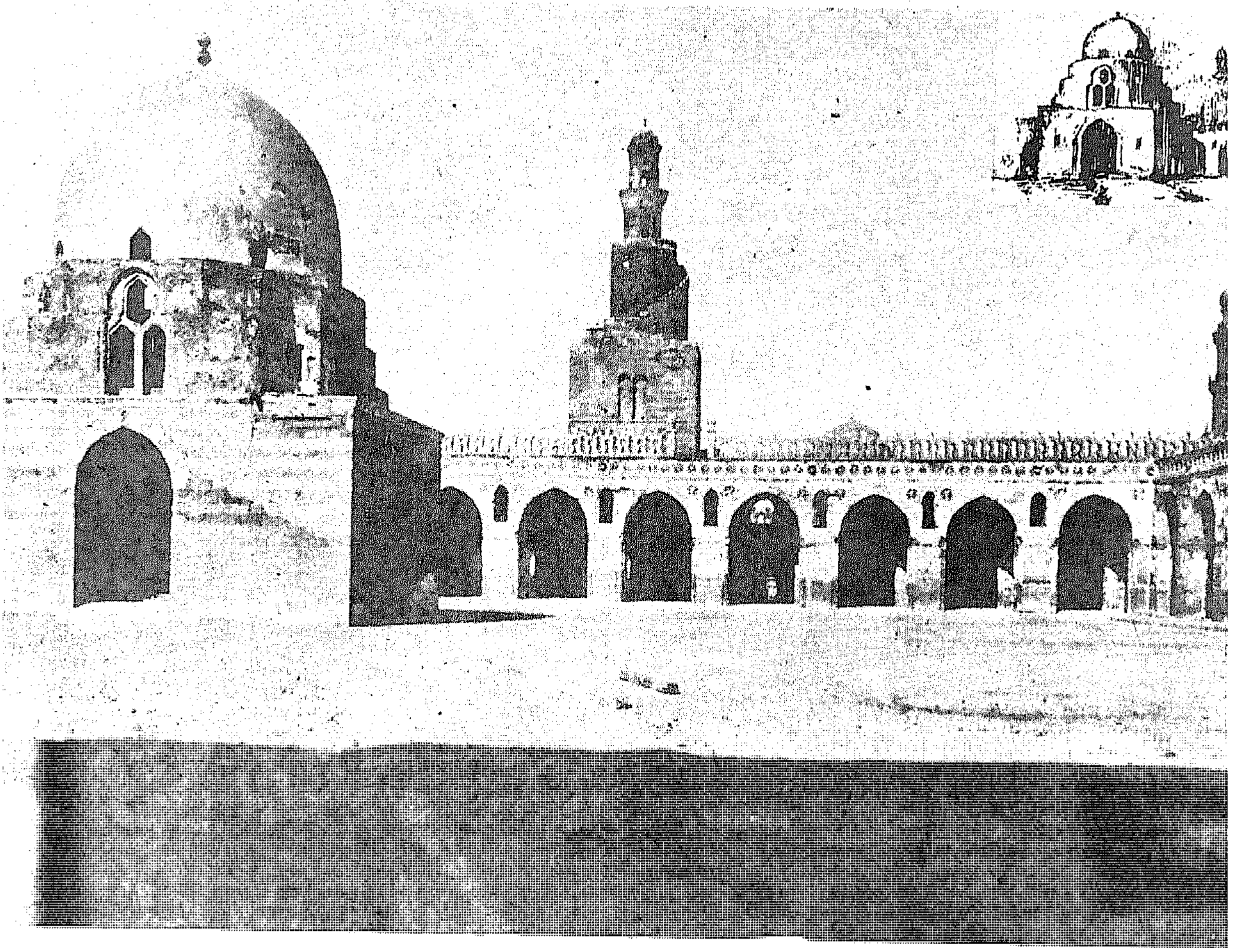


الأزهر الشريف



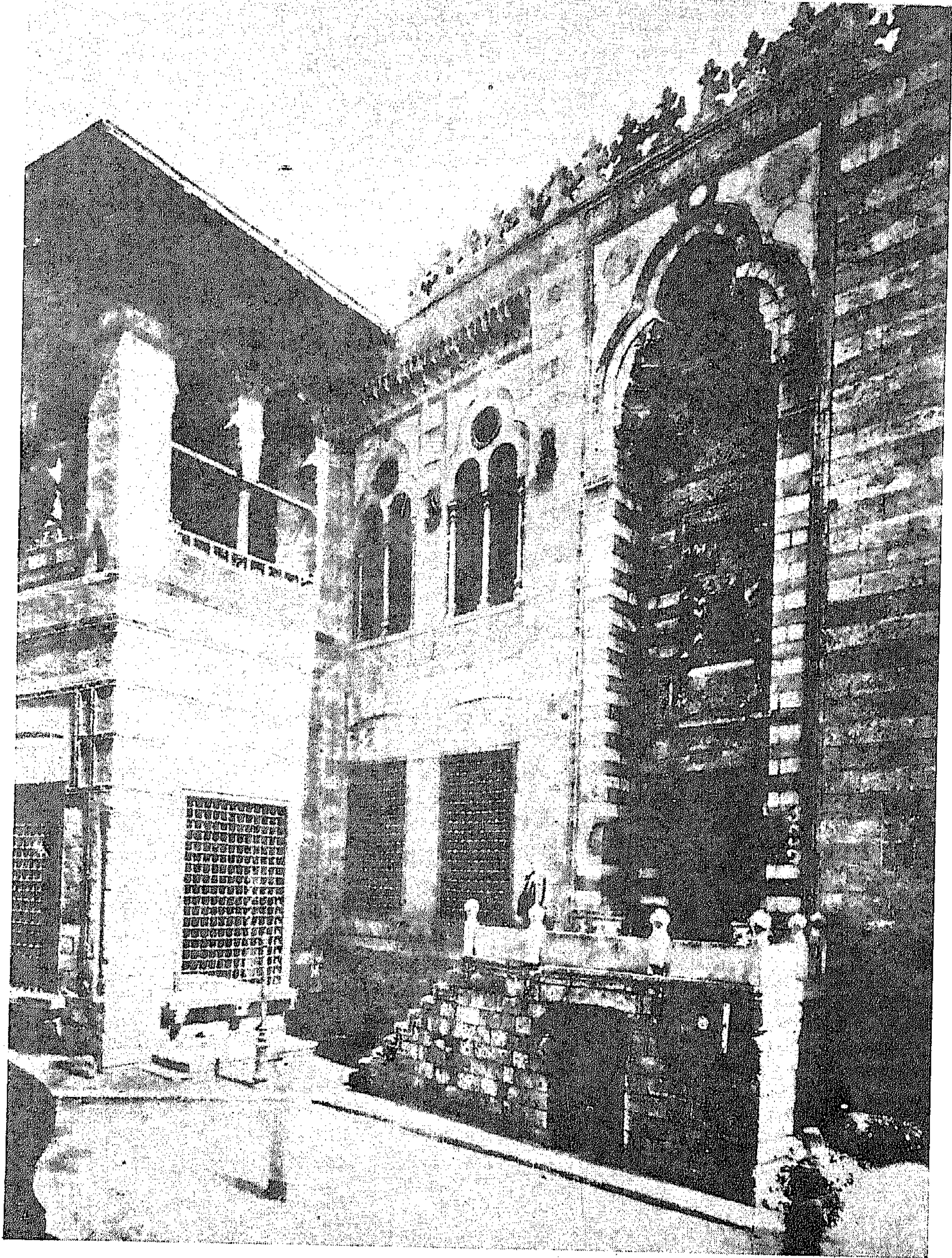
جامع عمرو بن العاص

جامع أحمد بن طولون

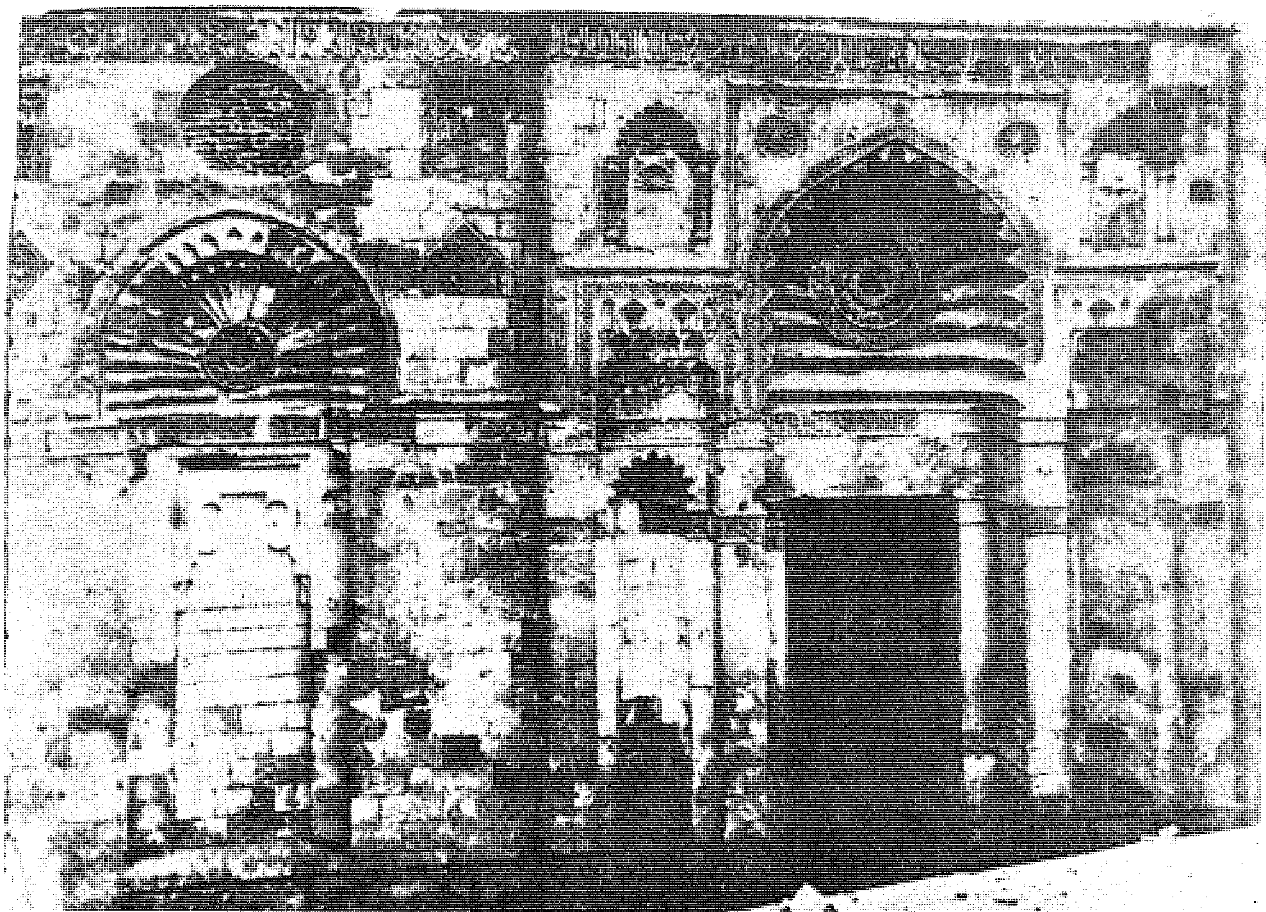




مسجد الغوري



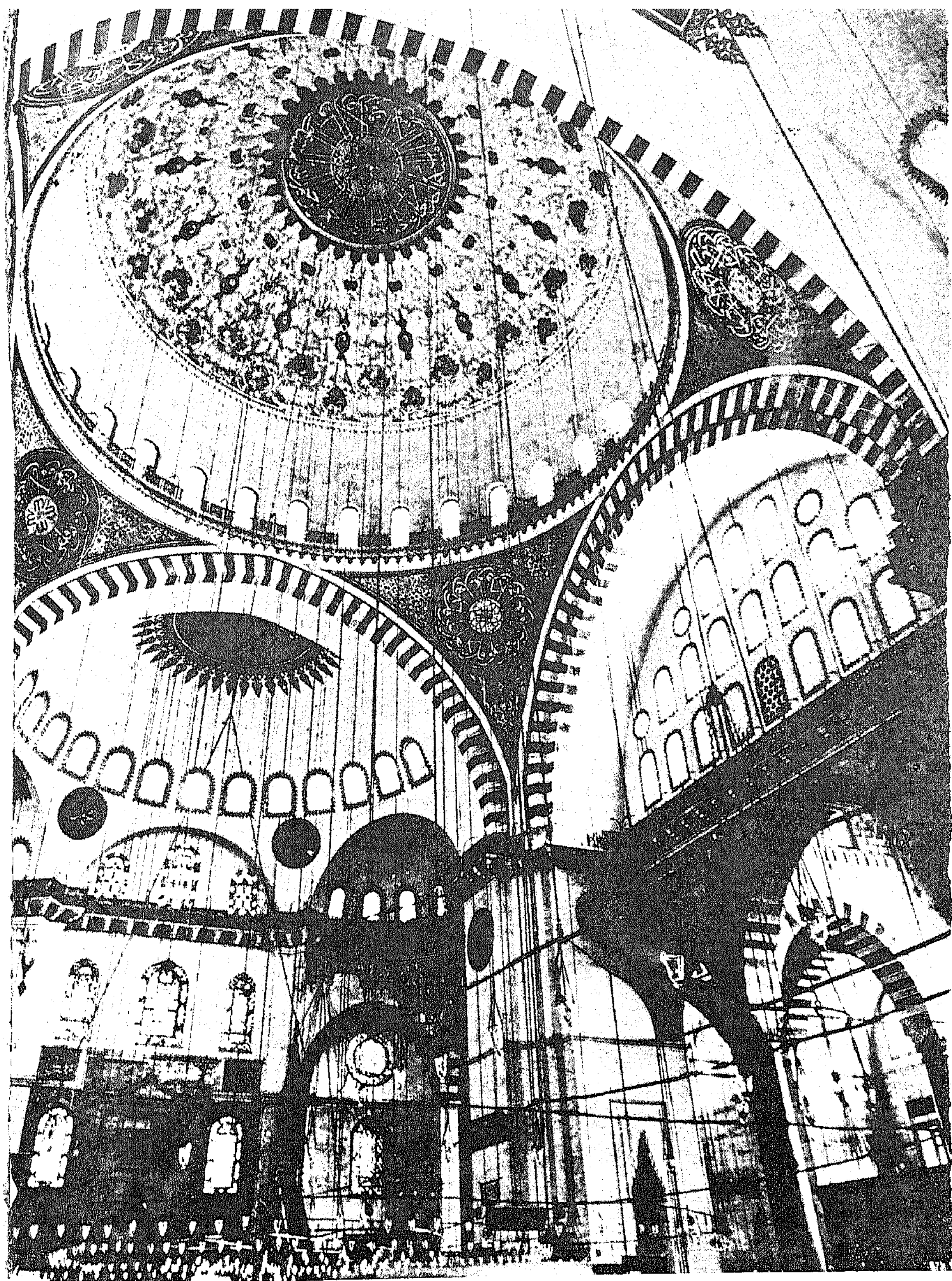
قبة وسبيل الغوري



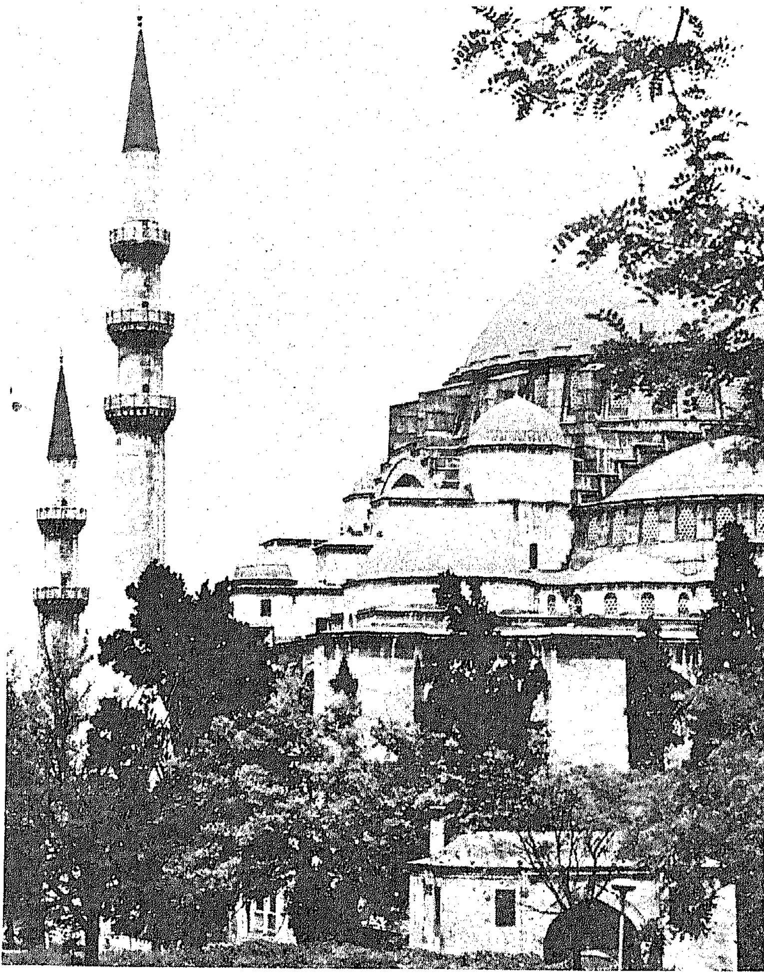
مسجد الأقمــر

مسجد السلطان أحمد « استانبول »





جامع السليمانية من الداخل



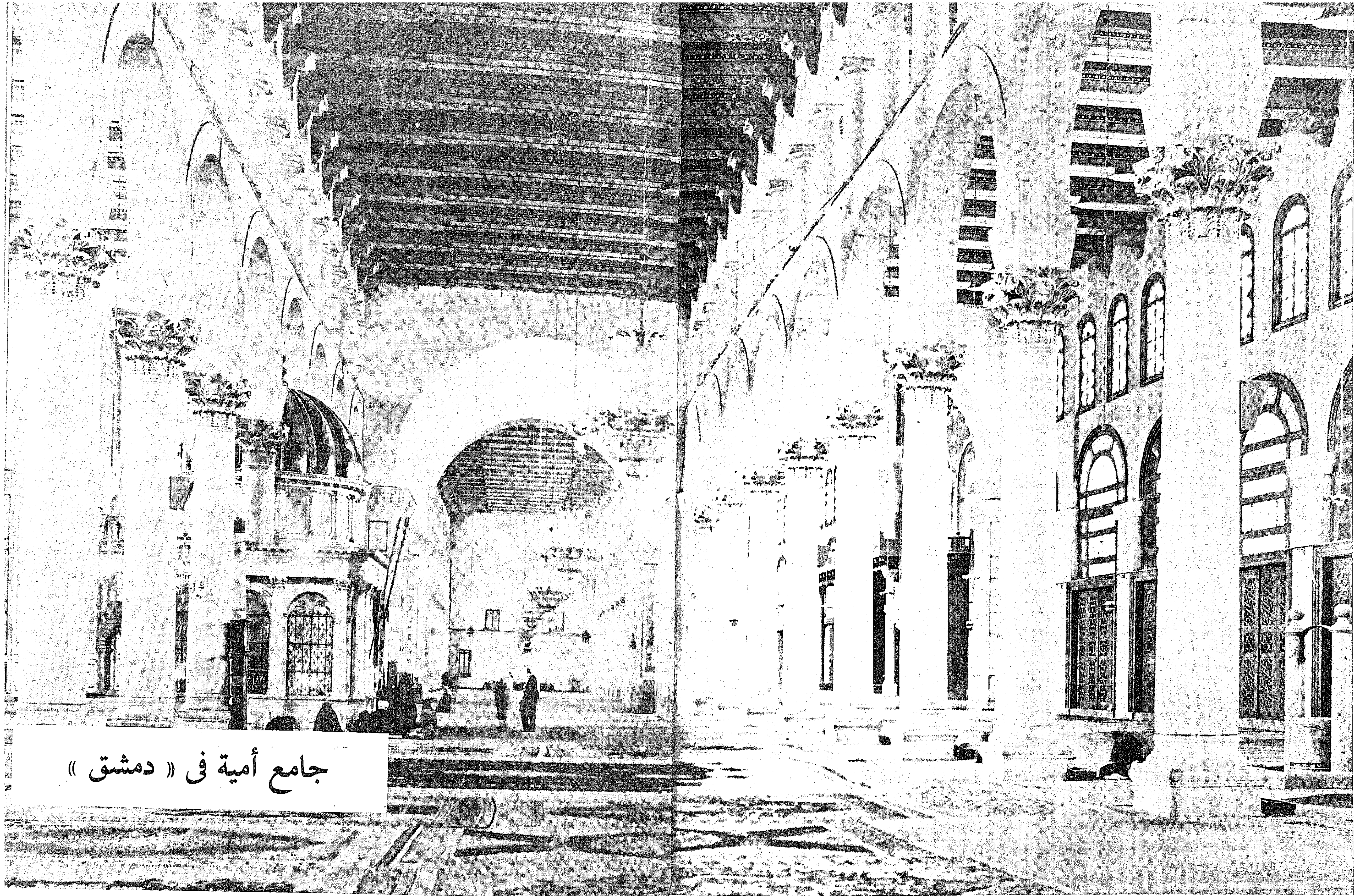
جامع السليمانية

استانبول

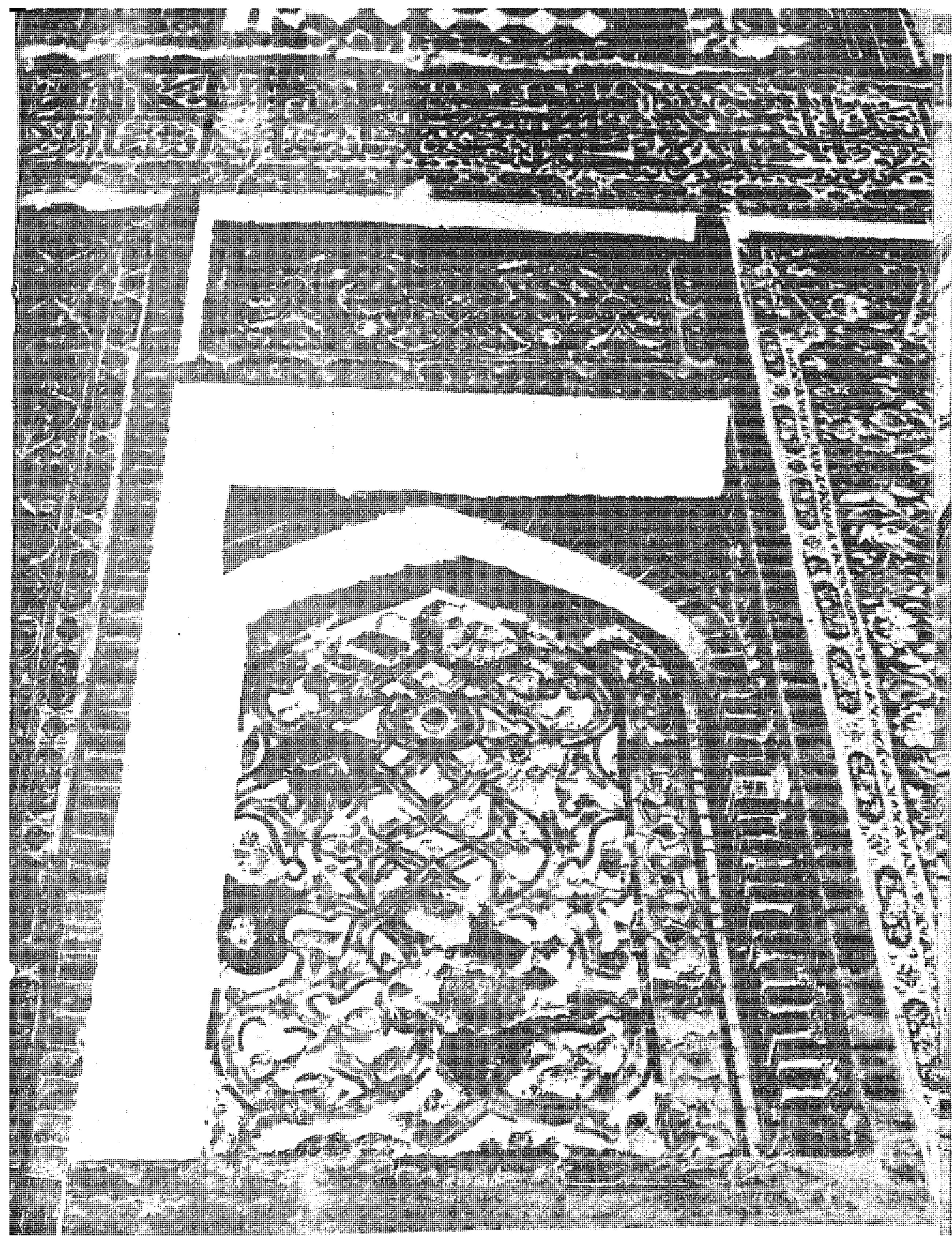
تأثيرات هندية



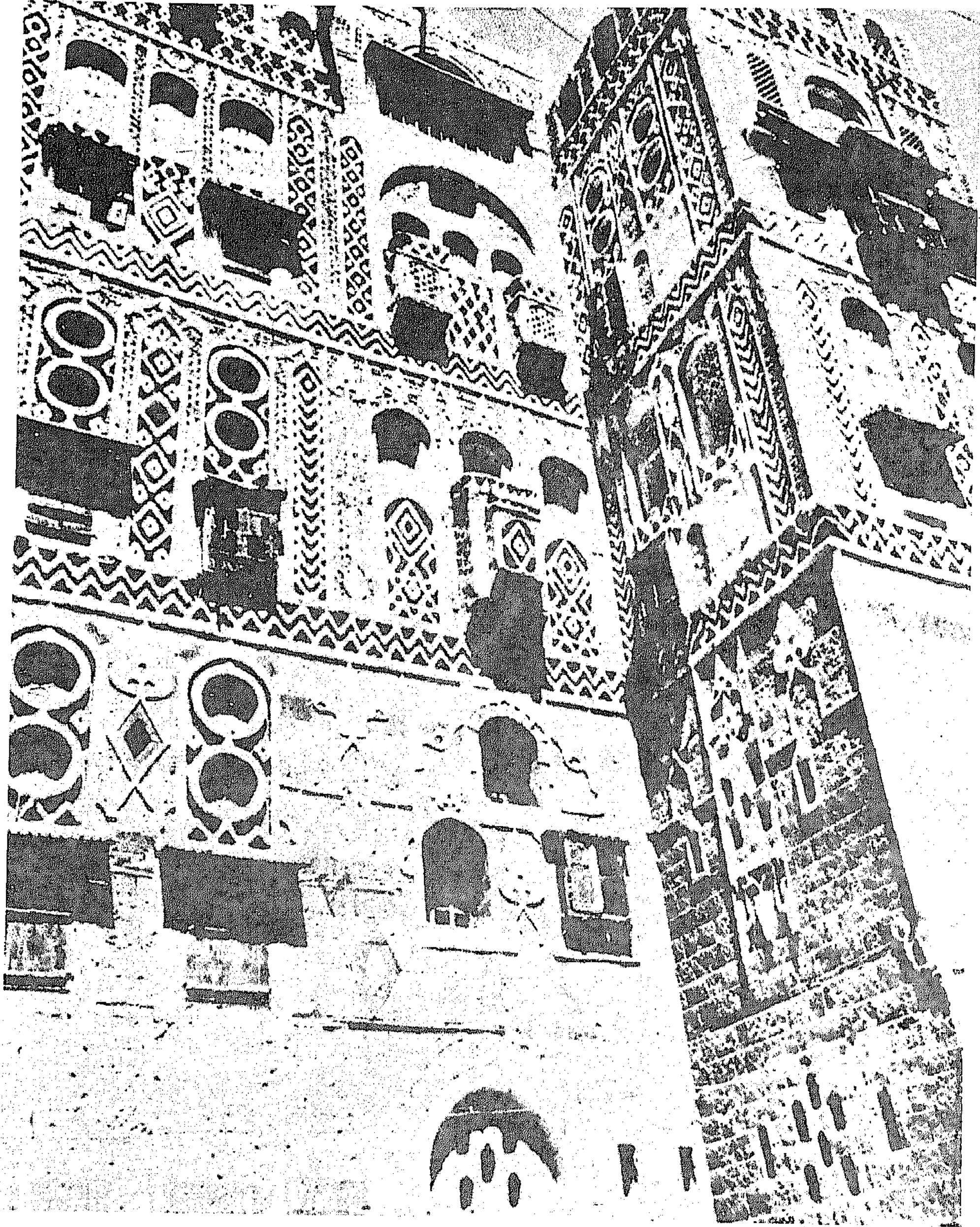




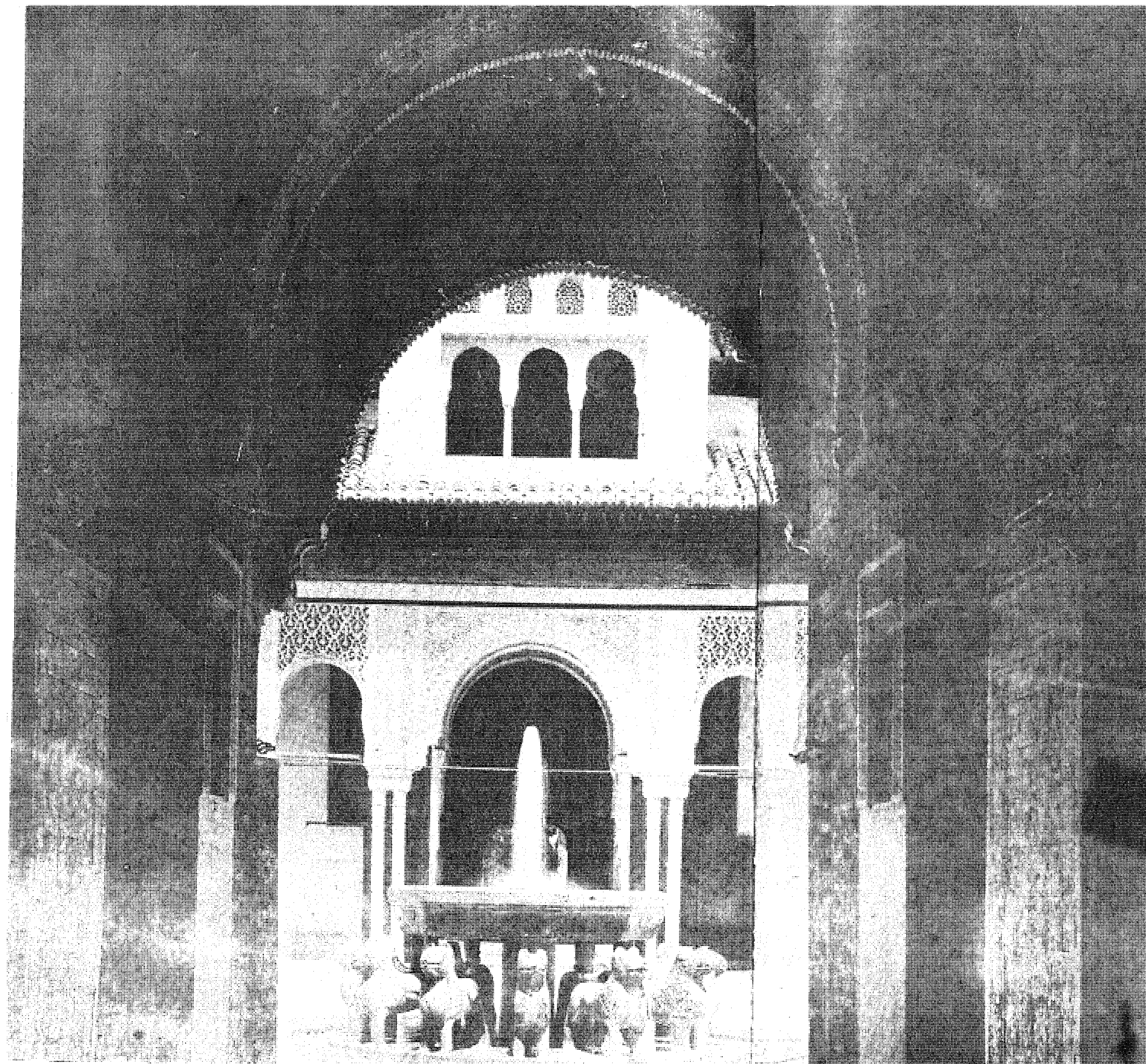
جامع أمية فى « دمشق »



شباك مدرسة إسلامية - شيراز - إيران



واجه من الحجر والطابوق ـ اليمن



قصر الحمراء ـ غرناطة ـ الأندلس



مسجد بأصفهان

لقد عاش الإمام مالك بن أنس فقيراً ولكنه حين أكرمه الله وأقبلت عليه الدنيا ، أثث داره بأجمل أثاث ، وزينها بأحسن زينة . وملأ أجواءها بعرف البخور وشذى العطر . وكان حفيا بمأكله ، يختار أطيب الأطعمة ، وكان مولعا بالفاكهة ، ومن الطريف أنه كان يقول عن الموز ، من ولعه به ، (لاشيء أكثر شبها بثمرات أهل الجنة منه ، لاتطلبه فى شتاء ولا صيف إلا وجدته قال تعالى : « أكلها دائم وظلها . . . »

وكان يلبس من الثياب أنفها وأنصعها فملابسه أنيقه بيضاء من خير ما تنتجه مصر وخراسان وعدن .

وكان يحض تلاميذه على الاهتمام بالغذاء فهو صحة للجسم ، والجسم وعاء العقل . والعقل السليم فى الجسم السليم . والعلم يحتاج إلى عقول قوية سليمة وراءها أجسام سليمة .

وعاتبه بعض الناس فى عنايته الفائقة بثيابه وطعامه وأثاث بيته فكان رده عليهم : إن البيت نسب الإنسان ، وإن الطعام يعين على نشاط الذهن ، وإن الثياب تكسب المرء ثقة بالذات وإحساساً بالسعادة .

وكان الإمام الليث يقول : إن الله جميل يحب الجمال .

عاش حياته متمتعا بكل ما وهبه الله من ألوان الغنى .

لقد كانت داره بالفسطاط لها عشرون بابا تحيط بها حديقة مليئة بالأشجار والأزهار .. .. دار كانت عامرة بالكتب وبألوان النعيم .

وكان الإمام على يرى أن المسكن الضيق هو الجحيم الأصغر ، ويتمنى أن يغيره ولكن لم يستطع ،

وكان عند الإمام الليث ، من الثياب بعدد أيام السنة . فما يلبس الثوب يومين متتالين . حتى خيله كان يعنى بسروجها ويوشى لجامها .

وكان فى الأصائل يرتدى أجمل ثيابه ويتعطر ويمشى فى الأسواق ويتنزه فى الحدائق أو على شاطئ النيل .

وسمع الإمام مالك بهذا فكتب إليه يعاتبه (بلغنى أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق — أى الملابس الرقيقة الفاخرة — وتمشى فى الأسواق) .

فكتب إليه االيث : قال الله تعالى : (قل من حرم رينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزف قل هى للذين آمنوا فى الحباة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .

على أن الليث كان مما رزقه الله ينفق ويجود أقصى غايه الجود .

كان يطعم كل يوم ثلثمائة من الفقراء والمساكين . أما أهل العلم من طلابه وأصحابه فكان يطعمهم من أطيب ما يأكل هو . فلما أقطعه الخليفة الرشيد، مبهوراً به كالمنصور،أقطاع الجيزة أخذ يطعم من الفقراء ثلاثمائة بعد **كل صلاة !!**

كان يهب المال ويقدم الطعام ويهدى الثياب والدواب ،وما استأثر بشيء من دون الناس تحقيقاً للمفهوم الإسلامى للمال وهو أن صاحبه مستخلف فيه .

كان حفيا بالفقراء،وكان مضيفاً للأغنياء يغدق على هؤلاء ويولم لهؤلاء ويضع الدنانير فى الفالوذج فمن أكل منهم أكثر نال من الدنانير أكثر ، وما أكثر ما نالوا جميعاً .

لم ينهر سائلا بل لم يحوجه إلى سؤال،فقد كان يتفقد أصحاب الحاجات ويقضى حاجاتهم .

طلبت منه امرأه رطلا من عسل لتعالج ابنها ، فى وقت شح فيه العسل ، فأمر كاتبه أن يعطيهامرطامن العسل(والمرط نحو مائة وعشرين رطلا) فقال كاتبه : سألتك رطلا أتعطيها مرطا ؟ فقال الليث : (سألتنا على قدرها ونحن نعطيها على قدرنا) .

كانت له ضيعة بالفرما يأتيه خراجها فيجعله فى صرر ويجلس أمام داره ذات الأبواب العشرين ويورع الصرر ولاتقل إحداها عن خمسين

ديناراً فقد كان لايتصدق دون هذا ، والدينار فى ذلك الوقت يكفى لكسوة كاملة أو لشراء دابة .

كان الليث فى مصر نيلا مع النيل . حتى لقد كان أستاذه ربيعة الرأى يعده ويفضله لبيبا وخطيبا وأديبا وأريبا ذكيا، أبيا . مصقولا بحكم التاريخ الطويل فى الحضارة فكان (ربيعة) يسميه . الوجيه المصرى .

وتحمر أحماره الخليفة العباسى المنصور إلى رؤيته فيطلب إليه أن يقابله فى (بيت المقدس) وهناك يناظره فيبهره الليث حتى ليعرض عليه أن يوليه مصر ويمنعه خجله ودماثته أن يرد طلبه فى كلمات مناسرة فيلف الرفض ، متحضراً ، فى غشاء شفيف :

— يا أمير المؤمنين . إنى أضعف من ذلك الرجل من الموالى .

آراه يخفى ابتساما

إنه سيد السادة بما وراءه من فقه فى الدين ، وبصر بالعلم ، ووراثة من تاريخ .

— مابك من ضعف معى ، ولكن ضعف نيتك فى العمل عن ذلك لى ...

وأجزل المنصور له العطاء .

وآراه مرة أخرى يخفى ابتساما ... فهو أصيل فى الغنى أيضاً... ومن هنا وزع كل ما قدم إليه ، وقبل أن يبرح المكان ، على المحتاجين .

استغناء وكبرياء .

ولم يخف هذا أيضاً على الخليفة فنصح لأهل العلم فى العراق وسائر الأمصار أن يذهبوا إلى الفسطاط ، (فيتلقوا عن هذه الفقيه المصرى الشاب الذى لم يلق المنصور أفقه منه بالشريعة ، ولا أحفظ منه للحديث ، ولا أحد منه بصيرة ، أو أذكى جنانا أو أفصح لسانا ، ولا أعدل أو أعف ، أو أوسع علما بمعارف الأوائل وحكمتهم ، ولا قدرة على الاستنباط ، ولا أسلم منه رأيا) .

ذهب بعض أصحابه حين كانوا فى المدينة إلى الإمام مالك يسألونه فى بعض مسائل اختلف حولها مع الليث.فلم يقابلهم فقالوا : ليس هذا كصاحبنا. وترامت الكلمة إلى مالك فأمر بإدخالهم وسألهم : من صاحبكم ؟

قالوا : الليث بن سعد .

فقال الإمام مالك : (تشبهونى برجل كتبت إليه فى قليل من عصفر مصر ، نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ إلينا منه ماصبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا ، وبعنا الفضل بألف دينار ؟)

وكان الليث قد أرسل إلى مالك حمل ثلاثين بعيراً .

لاتحسبن يابنى أن العرف يذهب بين الله والناس . إن المعروف باق حتى بعد ذهاب صاحبه .

حين أختار الله الإمام الليث إلى جواره سارت وراءه مصر بأجمعها وبكته أحرَ بكاء حتى قال طالب علم لأبيه وهما ينصرفان من جنازة الإمام :

— ياأبت .. كأن كل واحد من هؤلاء الناس صاحب الجنازة .

فقال :

— يابنى .. كان عالما حسن العقل كثير الأفضال . يابنى لاترى مثله أبدا .

أما المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فقد قالوا : ذهب سيد الفقهاء.

ولم يكن التاريخ الإسلامى والعلمى دون ذلك تقديراً وتفريراً .

حين جاء الإمام الشافعى مصر ، ذهب من توه إلى قبر الإمام الليث فصلى ... ودعا له بالرحمة ووقف به طويلا يتأمل فى صمت حياة طويلة عريضة خصبة زاخرة مضيئة ، مسعدة ، عامرة بأغلى كرائم الإنسان .

وقف الشافعى طويلا أمام عقل متوهج ، ونفس معطاء ركف دفاق ، وذكاء خلاق ، وبشر ألاق ، وخير عميم .

ويبكى الشافعى ويقول : (لله أنت ياإمام ... لقد حزت أربع خصال لم يكملهن عالم : العلم والعمل ، والزهد ، والكرم) .

وبعد اثنى عشر قرنا نردد بعد الشافعى هذا التمجيد كما ترى يابنى لأن الصدق فى القول والعمل لايخيب ولايغيب .

حتى فى النهى لم يغلق الله الرحيم ، الباب غلقا محكما ينتهى بالإنسان إلى طريق مسدود ... بل وضع فى الاعتبار ، **الاضطرار** ، من رحمة ... فبعد أن فصل لنا ما حرم علينا ، استثنى حالات الاضطرار . .

(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) (١)

ومن هنا القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحذورات) .

فليتق الله المتشددون رحمة بالإسلام الذين يريدون له الخير بلا شك ، وإن بالغوا فى الوسيلة ... إن الرسول عليه السلام نفسه يقول :

(لايشاد الدين أحد إلا غلبه إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) .

ولتجدن يابنى أشد الناس سماحة ، أولئك الذين تعمقوا فى دراسة فقه الإسلام بما يخولهم الحق فى الإفتاء والفصل فى الحلال والحرام ومع هذا دلت أقوالهم على اليسر السمح ، ونمت أعمالهم عليه .

لقد دعا الإمام أبو حنيفة إلى المساواة بين الرجل والمرأة فى عصر نظر إلى المرأة نظرته إلى المتاع .

لقد أفتى الإمام أبو حنيفة بأن الإسلام يبيح للمرأة حق تولى كل الوظائف بلا استثناء حتى **القضاء** .

وأفتى الإمام بأن للبالغة أن تزوج نفسها .. وهى حرة فى اختيار زوجها كما أفتى بعدم جواز الحجر على أحد لأن الحجر مصادرة للإرادة وهبوط بآدمية الإنسان .

---

(١) البقرة : ١٧٣ .

كان إلى جانب الحرية. فما يعطل حرية الإنسان أو يؤذيها لا يرضاه . عنده أن سوء استخدام الحرية أخف ضرراً من تقييدها .

حتى ذهب فى فتواه إلى أن الشك لا يلغى اليقين فى العبادات .

وأفتى بأنه لا يحق لأحد أن يحكم على مسلم بالكفر ما ظل على إيمانه بالله ورسوله حتى لو ارتكب المعاصى . ومن كفر مسلما فهو آثم .

واعتمد بعد الكتاب والسنة على الرأى يستمده من القياس مراعيا تحقيق المصلحة ، أو الأعراف التى لا تتعارض مع قواعد الإسلام ومبادئه .

أما الإمام مالك بن أنس فقد جعل **المصلحة** مناط الأحكام فيما لم يرد فيه نص ملزم بالإباحة أو المنع ، وفى أخذه بالذرائع فما يؤدى إلى الحلال ، حلال وما يؤدى إلى الحرام ، حرام .

وأفتى الإمام مالك بأن الأعراف (جمع عرف) والعادات يجب احترامها فى استنباط الأحكام ما لم تتعارض مع نص صريح قطعى الدلالة .

بل أفتى بأن المحظور يجوز أن يقترف لأن فيه دفعا لمضرة أكبر .

إنه يرى الشريعة مبنية على جلب المنافع والبعد عما يكون طريقاً إلى المفاسد .

وكان الإمام أحمد بن حنبل لا يحب أن يكتب فقهه خشية أن **تتجمد الأحكام** ، ويشيع التقليد فيما يأتى من العصور . **والفقه ينبغى أن يتجدد بالضرورة وفق مقتضيات الزمان .**

يضبط هذا كله ما جاءت به نصوص القرآن والسنة وآثار الصحابة فهى وحدها الجديرة بالتدوين . بوصفها المعيار الموضوعى الثابت ووعاء الأحكام الشرعية جميعاً . إما بظاهر نصوصها ، أو بدلالاتها الواضحة أو الخفية ، وإما بالقياس على ما فى النصوص من أحكام إذا تشابهت العلل والحكم .

والإمام أحمد بن حنبل الذى أخذوه بتصرفات أتباعه ونسبوا إليه التشدد ، كان يرى أن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ، ولا هو فى منزلة بين منزلتى الكفر

والإيمان. وأيضاً ليس معفوا عنه ، وإنما عليه أن يتوب وأمره إلى الله...ومن زعم أنه كافر ، فقد زعم أن آدم كافر. وأن إخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفار ، . .

وقال : لايكفر أحد من أهل التوحيد وإن عمل بالكبائر

وقد اتفق الأئمة : مالك بن أنس ، وأبو حنيفة . والليث بن سعد . والشافعى ، وابن المبارك على أن :

الفقيه التقى لايشغل إلا بما يفيد الناس فى حياة كل يوم .

أما صرفهم ، لغرض ، إلى التصارع العقلى . أو استدراجهم إلى الجدل الكلامى بدلا من الوقوف وراءالإنسان المسلم ، سلطه روحية ، تظله وتؤمنه فهذا هو الحرام .

لقد أفتى الإمام أحمد بن حنبل أن الشرط فى العقد واجب الاحترام . وإذن فاللزوجة أن تشترط على زوجها ألا يتزوج غيرها. فان خالف الشرط فسخ العقد ووقع الطلاق . ولها أن تشترط عليه ألا يسافر معها

لقد تحرج الإمام أحمد بن حنبل ، رقيقاً دمثا ، من قوله : حرام .. حلال ..حرام .. حلال ..

كان يتورع من قولها شأنه شأن الأئمة العظام .. ويكتفى بأن يقول : أكره أو أحب .

سئل عن بيع الماء فقال : أكرهه وهو يريد أنه حرام .

بل سئل عن الخمر يستعمل كالخل فقال : لايعجبنى ! !

حتى هذا لم يقل حرام ، ولو قالها لما اعترض عليه أحد

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتح فى رمضان . وأفطر بعد صلاة العصر ، وشرب على راحلته ليراه الناس وقال : تقووا لأعدائكم .

وكان الإمام ابن حزم يشهد مجالس الأنس ويسمع مع ظرفاء عصره، ويستمع للغناء حتى يؤذن للفجر فينصرف للصلاة. ويقضى النهار كله يقرأ ويتأمل ويكتب ويحاضر طلاب العلم، ويحاور شيوخه.

كان يرى الشيء مباحا إذا كان الرسول عليه السلام لم ينه عنه ولم يأمر به، وضرب لذلك مثلا زمارة الراعى. فلو كان حراما لما أباحه عليه السلام لغيره، ولو كان مستحبا لفعله عليه السلام.

وكان الإمام ابن حزم يرى فى الفضيلة رأى أرسطو ويقول:

الفضيلة وسط بين الإفراط والتفريط، وكلا الطرفين مذموم، والفضيلة بينهما.. **حاشا العقل فانه لا إفراط فيه**

وكان يرى أن الدين خير عاصم للإنسان، وكان يقول فى سماحة هى من طبع الإسلام (ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك. ولا تثق بالمستخف وإن أظهر أنه على دينك. إن من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء تشفق عليه).

وكان الإمام بن حزم يرى المرأة لها**حق ولاية أى أمر من أمور المسلمين** — ماعدا — الخلافة متمثلا قول الرسول عليه السلام (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..) وتضمن الحديث بل نص على أن المرأة راعية فى مال زوجها وهى مسئولة عن رعيتها.

وأجاز ابن حزم الأخذ عن المرأة المتفقهة فى الدين أسوة بالسيدة عائشة رضى الله عنها وأمهات المؤمنين ممن قامت الحجة بالنقل عنهن، فالمرأة عند الإمام ابن حزم (تستطيع أن — تتولى **القضاء والإفتاء وأن ترأس الرجال فى عملهم وأن تدرس لهم**).

وكان ابن حزم يرى الاقطاع ضحية فساد غيرهم فيوصى برعايتهم حيث لا ذنب لهم.

وكان الشيخ عر الدين بن عبدالسلام يرى أنه إذا سرق إنسان مالا . سرقة موجبة لقطع **اليد لم يجب عليه الإعلام** أى الاعتراف بالسرقة **بل يخبر مالك المسروق بأن له عليه مالا** ، **ويرده إليه** أو يعوضه عنه إن كان قد تلف ... ولايتعرض لذكر السرقة . أبعد هذا سماحة ورقة حاشية ؟ .

فان رد السارق المال أو عوضه .وأبرأه منه المسروق فقد برئ السارق وإلا وجب قطع يده فهو حد من حدود الله .

وكان الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يرى أن **الوسائل تسقط بسقوط المقاصد** . فلا يجوز ضرب الصبي للصلاة إذا لم يثمر الضرب. فهذا الضرب ينفر من الصلاة .

ويرى الإمام الجليل أن الزهد ليس **ما يفعله عامة الصوفية الذين يسيئون** إلى التصرف : لا هو تعذيب النفس ولا لبس المرقعات . **وليس الزهد هو خلو اليد من المال** ، ولكن هو خلو القلب من التعلق بالمال . فليس الغنى بمناف للزهد ، وقد كان عبدالله بن المبارك والليث بن سعد وهما من أغنى الأغنياء من أزهد الناس .

هذا حين كان يحترم أئمة الصوفية الأعلام كالشاذلى وأبى العباس المرسى ويقول (استمعوا إليهم فإن قولهم قريب العهد بنبع الحقيقة) .

وكان الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يكره التقليد ويدعو إلى التجديد الذى يتواءم مع المصلحة الراهنة دون تحريم حلال أو إحلال حرام ... كان يقول :

إننا لم نؤمر بتقليد الصحابة فكيف نقلد الأئمة أصحاب المذاهب .

مع أنه كان شافعيا . ولكنه اجتهد فاختلف ، أو وافق ، وفقاً لمقتضيات عصره مع تمسك بالأصول .

أما الفروع فهى فى كل عصر مجال للرأى والقياس

وكان الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يرى إنقاذ الغرقى مقدم على أداء الصلوات ،

ويرى أنه لو رأى الصائم فى رمضان غريقا لايتمكن من تخليصه إلا بالتقوى بالفطر فانه يفطر وينقذه لأن فى النفوس حقالله تعالى، وحقاً لصاحب النفس فقدم ذلك على أداء الصوم

ومن رأيه أن من الممكن تأخير بعض المصالح إذا تفادى التأخير ضرراً من الأضرار فقد أخر الله إيجاب الصلاة والصيام ولو عجل بهما لنفروا من الدخول فى الإسلام .

وكان يرى دفع المشقه واجب فيجوز لبس المخيط فى الحج ،وكذلك الطيب والدهن وقلم الأظفار .

وكان الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام ، يجيز التيمم للمشقة كالخوف من حدوث المرض من ماء الوضوء أو لخوف إبطاء الشفاء .

بل يجيز الإمام الذى خافه الملوك والسلاطين والذى شدد عليهم واشتد فرضخوا وأطاعوا ... هذا الإمام أجاز للمرأة أن تتيمم بدلا من الوضوء بالماء إذا كان الماء يؤذى جمال – وجهها !

مسايرا فى هذا الإمام الشافعى ، قبله ،

سأل بعضهم عبدالله بن عمر عن المحرم فى الحج أوالعمرة أيحل له أن يقتل حشرات الفراش ؟ فسألهم ابن عمر : « من أنتم » ؟

فقالوا : من الكوفة ؟ فقال لهم :

– قاتلكم الله .. تسألون عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على سبط رسول الله ؟.

الإسلام علم

الإسلام علم يابنى ، تبتل أئمة الإسلام فى تحصيله من استجابة للإسلام فى الحث عليه ، ومن استزادة فى الإسلام بالتوسل به. فخير وسيلة فى الحياة علم ينفع وأدب يشفع ، وعقل يضئ .

كان الشافعى فى صغره وهو يطلب العلم فيعز عليه ثمن الورق. يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها. أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التى ألقى بها ، فيكتب على ظهرها .

فإذا لاحقته المشقة فى الحصول على ما يدون فيه أو يسجل عليه . اعتمد على الحفظ ، وأسعفته ذاكرة واعية استحصدت من طول الاعتماد عليها .

أصاخ إلى نصيحة الإمام الليث حين كانت تتحلق حوله الندوة فى مقام إبراهيم كلما ذهب إلى الكعبة حاجا أو معتمراً ... وكانت نصيحة الليث لمستمعيه من الطلاب أن يتقنوا اللغة وأسرار بلاغتها وفنون آدابها، وأن يحفظوا الشعر الذى سبق نزول القرآن الكريم ، وأن يخرجوا إلى البادية ليتعلموا كلام (هذيل) ويحفظوا أشعارهم ، فهذيل أفصح العرب وعندهم كنوز اللغه .

كل هذا فى سبيل فهم معانى الكتاب الكريم والنفاذ إلى أعماقها وفهم الأحاديث .

وهنا خرج الفتى الشافعى إلى البادية وعاش فى مضارب الخيام عشر سنوات من عمره يحفظ عن الهذليين أشعارهم وتراكيبهم اللغويه . يرحل برحيلهم. ويقيم ما أقاموا حتى روى من المنبع .

وإذ رجع إلى مكة ينشد الأشعار ويروى الأخبار . التفت إليه الأصمعى وهو شيخ اللغويين ، وإذ راعه الفتى ، يقول وهو فى أوج شهرته : (صححت أشعار الهذليين على فتى من قريش يقال له محمد بن أدريس) .

ولم يتعلم الشافعى من هذيل اللغة وحدها بل تعلم معها **الرماية** والفروسيه وبرع فيهما حتى لقد كان يأخذ بأذن الفرس وهو يجرى فيثبت عليه فى براعه واقتدار .

وأتقن الرمى .

جلس يوماً عندما دانت له الإمامة يتذكر فقال :

(كانت همتى فى شيئين فى : الرمى والعلم . فصرت فى الرمى بحيث أصيب عشرة من عشرة .

ثم سكت عن ذكر العلم . فقال أحد السامعين :

— أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى .

واجتمع للشافعى العلم بالقرآن والحديث وحسن البيان وأسرار البلاغة حتى قال له أحد شيوخه : « آن لك أن تفتى »

ولكنه تهيب الفتيا لصغر سنه ، وكبر همته ... كان تأدبا أن الفتى فى سن أبناء شيوخه ، وكان متحرجا أن يتصدر فى مجلس العلم دون أن يجمع أطرافه فيحصل فقه المدينة حيث الإمام مالك ، وفقه العراق حيث فقه الإمام أبى حنيفة له دوى لا يطويه الموت ، وفقه الشام حيث الأوزاعى ... ثم فقه مصر حيث سيد الفقهاء الإمام الليث .

وأزمع الشافعى أمراً ليس إلى مرد له من سبيل .

وقرر الشافعى أن يستأنف طلب العلم .

فالعلم كما يقول لا يؤتيك بعضه إلا أن تؤتيه كلك .

طمح إلى أن يلقى الإمام مالك فتزود له بحفظ كتابه (الموطأ). ووفرت أمه ثمن الرحلة بأن باعت بعض أثاث الدار .

وكان (الموطأ) خير سفير سفر بينهما فاتصلت أسبابهما منذ ١٧٠ — ١٧٩ هـ حتى رحل مالك هذه المرة ولكن إلى الدار الآخرة .

وفى المدينة التقى الشافعى بتلاميذ الأئمه · أبى حنيفة وجعفر الصادق .

ومن تلاميذ الإمام جعفر الصادق تعلم شيئين ثمينين كلاهما مفتاح إلى كنز .

١ ــ أن **العقل** هو أقوى وأقوم سبيل إلى الاستنباط حين لايكون نص، **العقل** وحده لا الاتباع ولا التقليد .

٢ ــ أن العلم بمعناه الجامع ليس حفظ القرآن والحديث فحسب ولكنه يشمل كل العلوم الطبيعية والرياضية التى تفسر ظواهر الكون وتكشف عن مكنوناته فيعظم فى قلب المؤمن قدرة الخالق ،وهنا أخذ الشافعى بالرأى إلى جانب السنة ، منصفاً الفريقين معاً .

وقرر أن يتعلم العلوم الطبيعية والرياضيه. فتعلم الكيمياء والطب والفيزياء والحساب والفلك ، وتعلم الفراسة أيضاً واهتم بالرياضة البدنية ودرس حضارات المصريين والفرس واليونان والهند .

وعندما ضعف المسلمون سياسيا ،يابنى ، وجد بينهم من يقول أن تعلم هذه العلوم حرام !! إلى أن قيض الله للأزهر شيوخاً أجلاء قرروا فيه هذه العلوم ..

بل إن الأزهر اليوم يجمع علوم الدين والدنيا .

وبعد المدينة سافر الشافعى فى طلب العلم إلى الكوفه التى وصلها بعد رحلة مضنية استغرقت أربعة وعشرين يوماً .

وبعد الكوفه رحل إلى فارس والتقى بعلمائها .

وطوف ببغداد وشمال العراق والأناضول وحران ثم سافر إلى بلاد الشام .

وطاف به الحنين .

وتراءت له مكة حيث أمه ،والصبر ، والانتظار ...يالله لقلوب الوالدات .

وقصد الشافعى ، مكة ، حيث بلغ الشوق مداه .

شوق آخر لم يبلغ منتهاه ... ذلكم هو شوقه إلى العلم .

أقام الشافعى فى مكة عامين رحل بعدهما إلى المدينه منتظما تواقا ، فى حلقة الإمام مالك ، ثم سافر إلى اليمن حيث أسعده الحظ بلقاء يحيى بن حسان تلميذ الإمام المصرى الليث بن سعد فصاحبه وأخذ عنه فقه الإمام .

وبعد هذا تأججت فى نفسه الرغبه إلى بلد الإمام الليث . إلى مصر التى يعرف عنها أن أول كتاب ترجم إلى اللغة العربية هو كتاب مصرى فى الطب. وقد تعلم الشافعى من هذا الكتاب .

مصر التى علمت علماء اليونانيين وحكماءهم .

مصر التى عرفت التوحيد قبل سائر البلاد بل قبل الأديان .

مصر مهد الحضارة والفنون والعلوم والقيم .

وكم عرض عليه الخلفاء مناصب القضاء فكان يعتذر .

إنه طلب العلم وإنها مصر .

وفى أدب العالم وتقاليد العلماء زار قبل الرحيل قبر الإمام أبى حنيفة وصلى ركعتين على طريقة أبى حنيفة لا طريقته هو فلما سألوه فى هذا قال :

(أدبا مع الإمام أبى حنيفة أن أخالفه فى حضرته) .

وودعه الإمام أحمد بن حنبل وبكى فى وداعه وبكى معه خلق كثير .

وفى أدب العالم وتقاليد العلماء ، قصد عقب دخوله مصر قبر الإمام الليث فقيهها وصلى ركعتين داعيا له ، متمثلا تاريخا مشرف الصفحات .

فما إن فرغ من الصلاة حتى سأل عن دار السيدة نفيسة حفيدة الحسن بن على وزوج إسحق المؤتمن بن الإمام الصادق جعفر بن محمد حفيد الحسين.

وفى حلقة السيدة نفيسة سمع ما لم يكن قد سمع بعد الطواف وطول المطاف .

هذه صفحة أو لمحة يابنى من قصة إمام من أئمة الإسلام العظام فى طلب العلم ليست الأولى وليست الأخيرة .. قصة لم أقصد بها الحكاية أو تزجية فراغ ، فنحن المسلمين اليوم ليس عندنا فراغ نزجيه ، إذا كنا جادين وسط ما يحيط بنا ، وبالإسلام من مكائد وخطوب .

إنها صفحة كفاح نحتاجه اليوم طلاب علم . وطلاب حقيقة ، وطلاب حقوق طال غيابها .

هذا عن الشافعى ،

أما الإمام الليث بن سعد فكان إذا سمع عن فقيه فى أى صقع من بلاد المسلمين ، شد الرحال إليه حتى عندما تقدمت به السن وحتى لو كان الفقيه المرتحى أصغر منه سنا ! !

وكان الليث واسع الثراء فليس العلم عنده وسيلة إلى الرفعة ولكنه كان يطلب العلم لذاته ، رفيعا متحضراً .

ومن طرائف الليث ، فى هذا الباب ، أنه لقى الفقيه (نافعا) مولى عبدالله بن عمر ، فى الحجاز فى مكان علاف وكان فى « نافع » حدة ، ولكنه استراح إلى الليث ، والليث بدوره لزمه مدة إقامته بالحجاز يحفظ عنه الأحاديث وفتاوى الصحابة .

وحدث أن مر بالدكان ابن لهيعه وهو مصرى من أصحاب الليث ، صار فيما بعد قاضيا لمصر فسأل الليث ، عن محدثه نافع فهمس الليث ، مصريا : (هو مولى لنا) .

حتى إذا عاد إلى مصر أخذ الليث يحدث عن نافع ... فعجب من أمره ابن لهيعة ولم يتمالك أن سأله متعجبا : وأين لقيته ؟

فضحك الليث وقال : أما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف ؟ هو ذاك ، فغضب منه ابن لهيعة ولكن الليث صالحه ونقل إليه ما حفظه عن نافع ومادار بينهما .. .. وعندما احترقت دار ابن لهيعة الذى كان راتبه أى راتب القاضى ، ثلاثين ديناراً ، عوضه الليث بألف دينار .

ويحضرني هنا ، أيضاً ، الإمام ابن حزم وقصته مع أحد فقهاء عصره الذى أراد أن يجد له عيبا إلى حد إبدال الحسنة ،سيئة فقال الفقيه للإمام ابن حزم :

— أنا أعظم منك همة فى العلم ، لأنك إنما طلبته وأنت معان عليه تتسهر بمشكاة الذهب ، وطلبته وأنا أسهر بقنديل السوق .

فرد بن حزم :

— هذا الكلام عليك لا لك ، لأنك إنما طلبت العلم وأنت فى هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالى ، وأنا طلبته فى حال ماتعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر فى الدنيا والآخرة .

أما الإمام مالك الذى عممته أمه ، طفلا فى العاشرة من عمره وألبسته أحسن ثياب وطيبته ودفعت به إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حلقة ربيعة فلم يلبث ابن العاشرة أن شرب من أقوال ربيعة عللا بعد نهل مايعيي حفظه الرجال ،فقد كانت فتاوى ربيعة تعتمد على الرأى والاستنباط مما يحتاج عقلا ناضجا .

ومع هذا لم يكتف الفتى بحلقة ربيعة بل تنقل بين الحلقات يعب منها عبا ... كان يطيل الجلوس فى المسجد فى الشتاء طلبا للعلم ، وكان ينتظر الشيوخ فى وقدة القيظ على قارعة الطريق حتى إذا عاد أحدهم إلى داره انتظر حتى يستريح ثم طرق الباب ليستزيد .

كان وهو صبى يحمل معه خيطا فيعقد مع كل حديث عقدة .. حتى إذا كان آخر النهار ، أعاد على نفسه الأحاديث وعد العقد ، فان وجد نفسه قد نسى شيئا لاذ بشيخه يستعيده ما غاب عنه .

وعندما توفى أبوه وكسدت تجارته التى ورثها عنه لانشغاله بالعلم ، اضطر أن يبيع خشب سقف بيته ليعيش هو وأسرته أى زوجته وطفلته التى كانت تبكى من الجوع فيدير مالك الرحى حتى لايسمع جيرانه صراخها .

ومع هذا كابد حتى لاينقطع عن طلب العلم .

وقيض الله له إمام مصر الليث بن سعد الذى التقى به فى المدينة ،وكان يزورها بعد الحج فألقى الله فى قلبيهما المحبة والمودة . ولاحظ الليث على الرغم من تجمل مالك ونظافه ثيابه وطيب رائحتها ، أنه يخفى فقراً يجاهده من التعفف فوضع الليث بين يديه من المال كثيراً وفيرا ، وظل الليث ينفحه بالهدايا مختلفاً ألوانها حتى حين اختلفا فى الرأى ،لم يفسد الخلاف فى الرأى لهما مودة . ولم يشب ، صفاء، يربط علماء أجلاء .

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد ولد فى حجر الفقر وشب معه حتى لجأ إلى الاقتراض ،وإلى أن يلم بالمزارع والبساتين ليلتقط ما نزل على الأرض خارجها من الثمرات ، ومن هنا تحت وطأة التجربة أباح الثمرة لمن يحتاج اليها على ألا يدخل ذو الحاجة ملك الغير إلا ليأكل باذن المالك .

عرف الرحلة فى طلب العلم مشيا على قدميه وكم لاقى أثناءها من أهوال .

لم يكن يملك أجر دابه ... ولم يكن يملك طعام يومه فعمل حمالا ليعول نفسه ،وعمل نساخا وكم عرض عليه من عطاء ولكنه أبى أن يطلب العلم إلا من عمل يده .

عرض عليه الإمام الشافعى بايحاء من المأمون آن يعمل قاضيا فى اليمن فأبى ... كان يعرف الحاكم ...

فلما ألح عليه الشافعى قال له أحمد :

— إن عدت إلى هذا لا ترانى أبدا .

سافر إلى اليمن جاهدا وسافر إلى البصرة وإلى بغداد ورحل إلى الحجاز وسافر إلى خراسان وفارس وطرسوس وإلى كل مكان يسمع أن فيه راوية للحديث .

وفى طرسوس رابط استعدادا للجهاد ثم عاد إلى بغداد .

كان يحمل فوق ظهره كتبه ومتاعه . ويؤجر نفسه للعمل إن نفد زاده ونحل جسمه ! فقال له صديق فى أسى : إلى متى تجوب الآفاق ؟ فقال :

— مع المحبرة إلى المقبرة .

وكأنه يستمع إلى قول رسول الله عليه السلام :

— اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

إن العالم ، يابنى ، أكرم من المجاهد ، وأشرف من الملوك ، سافر الإمام عبدالله بن المبارك والتفوا حوله وتزاحموا عليه حبا وكرامة .... احتفاء واحتفالا حتى ارتفع الغبار من الزحام .

وتطل زبيدة زوج هارون الرشيد من قصرها فترى زحاما لم تره قط فسألت : من هذا ومن يكون ؟

قالوا : الفقيه العالم عبدالله بن المبارك

قالت : والله هذا هو الملك لا ملك هارون الرشيد الذى يجمع الناس إليه بالسوط والعصا والشرطة والأعوان والمال .

إن العلم يـ ني ، صنو السيادة فى زمن ساغ فيه الرق . روى ابن قتيبة أن إياسا القاضى ، أجاز شهادة عبدالعزيز بن صهيب وحده ! وعبدالعزيز محدث وثقه أحمد بن حنبل ، كان عبدا مملوكا وأبواه مملوكين ... ومع هذا تجاوز القاضى إياس عن رقه ، لعلمه ... مع أنه لا شهادة لرقيق . وقبلها منه وحده ، والشهادة لاثنين ...

لقد رأى ا .ضى أن فضل العلم وصدق العالم يغنى عن :

العدد و الحرية .

الإسلام علم يابنى

حين قتل جاليليو فى الغرب فى عصر النهضة ! لقوله بكروية الأرض، كان الإسلام يقول بها فى القرن السابع فى غير غموض أو إبهام (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ، **ويكور النهار على الليل)** (١) .

ومن أئمة المسلمين من قال بالذرة فابن حزم فى القرن الحادى عشر الميلادى—الخامس الهجرى —كان يرى أن الجزئ قابل لأن يتجزأ . وعن الجزئ أى الذرة يقول :

ليس فى العالم جزء لايتجزأ، وإن كل جزء انقسم الجسم إليه فهو جزء أيضاً وإن رق أبدا .. وأن كل شيء يحتمل أن يكون على أجزاء كثيرة فبالضرورة ندرى أنه يحتمل أن يجزأ إلى أقل منها) .

* * *

هذا هو موقف الإسلام من العلم،وهذه اللمحات ولا أقول الصفحات من حياة رجاله الأعلام لا يمارى فيها مكابر .

ليس مشكلتنا يابنى ،

العلم ومن ورائه التكنولوجيا . إن مشكلتنا :

الأخلاق

فهى كما طرحها مفهوم القرآن ، مفتاح إلى :

العلم ، واليقظة ، وقيم الأمانة والتكافل الاجتماعى ، والرحمة والصبر عند اللقاء، وفى النزال ، والشجاعة .. شجاعة النفس والقلب والضمير .

وهذه لو توفرت أمضى الأسلحه فى حربنا مع عدونا . إن ما عنده من السلاح المادى يفوق ما عندنا مهما أنفقنا لتوفيره .. فاذا تساوت الكفتان فى المعصيه ، كان النصر للسلاح الأكثر .

---

(١) ٥ ك ــ الزمر ٣٩ .

أما إذا استجبنا لنداء الله وعملنا بشرعه ، وتبعنا أوامره ، وتجنبنا نواهيه في إيمان به ، وانتصار له ، فلينصرن الله من ينصره .

وهنا يكون سلاح الخلق أمضى ، حتى إذا تفوقت المعصية فى باب السلاح .

وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ... وسلاح الخلق يستجلب رضا الله فينصر المؤمنين بجنود لم يروها .. وهو على كل شيء قدير .

* * *

الاسلام .. عمل يحب الله
أن يتقنه أصحابه

وكالعلم يابنى ، العمل .

بل إن العلم كما يقول الإمام الغزالى (شجرة ثمرتها العمل .. ولو قرأت العلم مائة سنة – وجمعت ألف كتاب لا أكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل .. لأن ليس للإنسان إلا ما سعى .. فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا لأن من عمل صالحا فأولئك هم يدخلون الجنه لايظلمون شيئا) .

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا ، أن يتقنه » .

هذا الضوء ، يرشه الرسول الكريم على طريقنا لمرشد ، مستشرفين إلى أفق أعلى من التجويد فى أعمالنا .. فليس العمل الحسن والمخلص والذى يجوده أصحابه ، مجرد وسيلة أجر أو سبيل عيش... إنه أكبر من الأجر ، وهو فوق الجزاء المادى .

قال الحسن بن الربيع : خرج فارس من المسلمين ملثم فقتل فارسا من العدو كان قد فعل بالمسلمين فكبر له المسلمون فدخل فى غمار الناس ولم يعرفه أحد ، فتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه فعرفته وقلت : أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذى يسره الله على يدك ؟ فقال : الذى فعلت له لايخفى عليه .

سأل الرسول عليه السلام قوما قادمين من رحلة ، فأثنوا ثناء مستطابا على أحدهم ، قائلين :

إنه خيرنا كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ... أى يقضى الليل متعبداً .. فما راعهم إلا قول الرسول صلوات الله عليه ، جوابا على قولهم :

— من كان منكم يقوم على طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا .. قال :

— كلكم خير منه .

وبين لهم أنه وهو الرسول الذى أوحى إليه ، يصوم ويفطر ، ويصلى ويقعد وأن الدين يسر لا عسر .. وكان هذا منه ، محاولة لربط الإنسان بالحياة والعمل فيها .

وسأله سائل : من خير الناس يارسول الله ؟ فقال على الفور :

— خير الناس أنفعهم للناس .

والنفع ، بالطبع ، عمل يجنى الناس ثمرته . أما نوافل العبادة فهى تعود بالأجر على صاحبها وحده .

ويقول الرسول عليه السلام : (إن قامت على أحدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها) فى محاولة ترسيخ وتأصيل لمعانى العمل ، قيمة إنسانية .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يعمل بيده ويسوى تراب أرضه ، وكان السرى بن يحيى يتجر فى البحر ويسافر فى مراكب التجارة... وكان سيرين أبو محمد بزازا ،وكان الإمام أبو حنيفة خزازا يبيع الحرير .وكان غناه أعون له على صون دينه فاستعصى على الخلفاء والمناصب وانصرف إلى العلم غنيا عن سواه .

وقبلهم كان الصحابة يعملون بل عمل الأنبياء فداود كان خواصا ، ولقمان كان خياطا ، وزكريا كان نجاراً .

مر (سفيان الثورى) بقوم جلوس فى المسجد الحرام فقال لهم : ما يجلسكم ؟

قالوا : فما نصنع ؟ قال : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

ويؤيد هذا ما رواه هشام عن عروة عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى الجبل فيجىء بحزمه حطب على ظهره فيبيعها ويستغنى بثمنها ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه) .

إن كتاب الإسلام ، القرآن الكريم، يقرن العمل بالإيمان : (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) (١) .

والعمل فى الإسلام **قربى إلى الله** ... نور يسعى بين أيدى أصحابه : (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات **فأولئك** لهم الدرجات العلى) (٢) .

فى الإسلام يقرن القرآن الكريم العمل **بالتوبة** ثم **الهدى**: (وإنى الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) .

قرن الإسلام العمل بالفلاح : (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) (٣) .

أثاب الإسلام على العمل بل خصه بالمثوبة ، حين اجتمع العمل والايمان (إلا من آمن وعمل صالحا **فأولئك** لهم جزاء الضعف بما عملوا) (٤) وهنا ننوه بأنه سبحانه قصر العقاب على حجم الذنب ، حين أجزل الثواب .

فهو يضاعف الحسنة ، أما السيئة فان (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) (٥)

قرن الإسلام العمل **بالدعوة إلى الله** وهى أجل الطيبات .

(ومن أحسن **قولا** ممن دعا إلى الله وعمل صالحا) (٦)

قرن الإسلام العمل **بالحضور يوم القيامة والمثول بين يدى الله** .

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) (٧)

---

(١) الكهف : ١٨ .
(٢) طه : ٢٠ .
(٣) القصص : ٢٨ .
(٤) سبأ : ٣٤ .
(٥) غافر : ٤١ .
(٦) فصلت : ٣٣ .
(٧) آل عمران : ٣٠ .

يقرن الإسلام العمل بالثمر (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (١)

ويقرن الإسلام العمل بالبشرى والجنة :

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات)(٢)

وقدم الإسلام العمل على الصلاة والزكاة فى الآية :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم)(٣)

ويقرن الإسلام العمل بالمغفرة والأجر الكبير

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) .

(إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) .

وفى آية (ورزق كريم)

إن الكريم من البشر يسعد القلب فما بالنا إذا كان الرزق الكريم من عند الله ؟

إنه إدخال فى الصالحين ، وإخراج من الظلمات إلى النور ، وغرف فى الجنة .

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين)(٤)

(ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور)(٥)

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا)(٦)

ومع الغرف « الأمن » ... « الطمأنينه » ... السلام النفسى » ...

(فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)(٧)

---

(١) يس : ٣٦ .
(٢) البقرة : ٢٥ .
(٣) البقرة : ٢٧٧ .
(٤) العنكبوت : ٥٩ .
(٥) الطلاق : ١١ .
(٦) العنكبوت : ٥٨ .
(٧) سبأ : ٣٧ .

الايمان هدى

ولكن المغفره وما أنداها

والأجر الكبير وما أجزله ... كل هذا للعمل الصالح .

والإسلام لايكتفى بالعمل مجردا بل يطلب التجويد فيه من القادر عايه .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من **أحسن** عملا)(١)

هنا **إحسان للعمل .. إجادة ... إتقان**

ويقرن الإسلام العمل **بالخلافة فى الأرض**

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملواالصالحات ليستخلفنهم فى الأرض)(٢)

ويقرن الإسلام العمل **بتكفير السيئات**

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم)(٣)

ويقرن الإسلام العمل **بالبصيرة**

(ومايستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء)(٤)

ويقرن الإسلام العمل **بالرحمة .**

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته)(٥)

حتى حين قرن **الإسلام العمل بالعلم** ، فهو عمل رفيع . وهنا تنضم آيات العلم وهى ٧٩٠ آية إلى آيات العمل وهى ٣٥٠ آية لتعزز قيمة العمل سواء أكان ماديا أو علميا أو روحيا أو دينيا .

حكى الإمام الغزالى أن أناسا سألوا الرسول (ص) عن خير العمل فقال : العلم .

---

(١) الكهف : ٣٠ .
(٢) النور : ٥٥ .
(٣) العنكبوت : ٧ .
(٤) غافر . ٥٨ .
(٥) الجاثية : ٣٠ .

فعادوا يسألونه من جديد فى محاولة استيقان فقال : العلم ...

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (١) .

والذى يعمل ، **يكفيه الله الظلم والإحباط** .

(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) (٢)

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) (٣)

والإسلام فيه أقل العمل لايضيع خيرا أم شراً :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً ، يره...ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(٤)

العاملون الذين يضيفون إلى الحياة ، هم فى الإسلام خير البرية .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) (٥)

وهو احتفاء بالعمل، واحتفال بدلالته ومعناه ، ودوره فى حياة الإنسان والأديان .

حتى الخطأ فى العمل فان الإسلام يحنو عليه. يقول النبى صلى الله عليه وسلم (من عمل فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران) .

وهى دعوة للمحاولة والاجتهاد مع جواز خطأ التجريب...فليس من الدين الوعيد والتهديد بعذاب الآخرة فى الخطب التقليدية، فإن الإسلام قبل أن يكون نقداً هو رحمة وعذوبة وطب لروح الإنسان وجسمه على السواء. وإن هروبنا الحاضر من المسئولية سببه تركيزنا على خطورة الخطأ عند الأطفال فى المدارس، وعند الكبار فى المساجد . . كل خطأ ، عيب وخطير وجسيم، لماذا ؟ ان الخطأ طبيعى .... والتجارب والخبرات مجموعة أخطاء ... ولهذا فطفلنا عندما يكبر يخاف من المبادرة والعمل حتى لا يخطئ لأنه طبع على جرم الخطأ

---

(١) المجادله ١١ .
(٢) طه : ١١٢ .
(٣) الأنبياء : ٩٤ .
(٤) الزلزلة : ٧ ، ٨ .
(٥) البينة . ٧ .

ليس لنا أن نخاف من الخطأ أو حتى الفشل فما التجربة والخبرة إلا مجموعة أخطاء سابقه نعلم منها أصحابها ، الصواب

إن الإعلام يركز على القيمة الإقتصادية، وينسى دائما القيمة الإنسانية للعمل .. العمل المترع ببشرية العامل أى حب صاحبه له ، لا العمل الذى تستطيع الآلة الأليكترونية أن تؤدى أضعافه .

والعمل الذى حث عليه الدين له آداب مرعية فالذى يتكلم أثناء العمل لايعرف للعمل كرامته ... آداب العمل هى الخلوص له... والخلوص نقطة لاترى .. نقطة تلاقى الكيان الإنسانى بمذخوره مجمعا . فى سن القلم أو الريشه عند ملامستها للصفحة أو اللوحة .

إن الصمت فى العمل ، سبيل إلى التجويد. إن المذياع والمزياط لايسمع نفسه .. محروم من الهواتف النفسية .. من الأصوات الداخلية المشحونة ليصحح رؤيته ويراجع عمله ،

الصمت فى العمل جمع للنفس وميلاد للقيمة .

إن الثقافة الدينية جزء منسى من تربية الإنسان فى هذا العصر ثم نعجب كيف ينحرف الشباب .

إن أهمال التربية الدينية هو قص من جذور الشجرة ثم نتساءل عن أسباب اصفرار الأوراق .

إن العمل إيمان .. والإيمان عمل .. وفى عصور الكلال كان الكلل يتسرب إلى الدين فيغدو ظاهرا ومظهرا ... وإلى العمل فيغدو مسخا وقميئا .

أن يكون الفرد منا إنسانا ، يتحتم عليه أن يضيف بماحمل من مسئولية الخلق وأمانة الخالق ،

هنا يتدين العامل لأن عمله فى ذاته ورع وتقى ...

لقد أكد الإسلام العمل ، كما لم يؤكده دين قبله .

وفى كتاب (الفروسية) لابن القيم قصة صغيرة تدل على تقديس أهله للعمل فقد نودى للصلاة ، والشباب يزاولون « الرمى» . وارتفع صوت يقول : حانت الصلاة ... فجاءه الجواب :

— دعهم إنهم فى صلاة .

مع تسليم ابن القيم ككل مؤمن بوجوب الصلاة ولزوم أدائها (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (١)

وكأن العمل « صلاة » ترفع إلى العلى القدير .

إلى هذه المنزلة يصل العمل فى الإسلام .

* * *

الإسلام علم

الاسلام عمل

والإسلام « إنسانية » ليس أدل عليها من موقفه من الرق والرقيق .

---

(١) فاطر : ١٠ .

الاســـلام حــرية

موقف الاسلام من الرق والرقيق

موقف يتشرف به الإسلام والمسلمون. أقول هذا ليس من منطلق كونى مسلمة فحسب، ولكن لأنى إنسانه. والإسلام للناس كافة بما هو دين الفطرة.

والإسلام عندى ليس الحلال والحرام فحسب ، فسوف نقابل هذا الجانب منه كثيراً فى الخطب والمواعظ.. ولكنى أتحدث قريرة عن جانب آخر يأسرنى فى هذا الدين ... يأسرنى بدماثته برحابته ... بإنسانيته .

وقد أعلى الإسلام كرامة الإنسان بما فى كتابه من تكريم له وتكليف، هو لون من التكريم فما يكلف غير جدير .

سؤال سئلته يوما : ما موقف الإسلام من الرق ؟ ولماذا لم يلغه ؟ كما ألغى وحرم أوضاعا أخرى ؟

إن الإسلام لم يشرع الرق ...

وما من آية به ، تبيح الاسترقاق .

والأديان التى سبقته لم تعالج هذا الألم الإنسانى ... حين وقف عنده الإسلام وقفة كبيرة و نبيلة سأفصلها .

على أن السائل نسى أن الرق عند مجىء الإسلام كان أساسا لنظام الحياة الاقتصادية والاجتماعية.لهذا لم يستطع الإسلام المواجهة العاصفةو السريعة حتى لاتكون رجة اقتصادية واجتماعية على فئة شوكتها قوية فى وقت كان يتحدث فيه عن المؤلفة قلوبهم .

ولكنه مع هذا حمل الأمانه واستوعب الرسالةفطب لهذا الجرح،وتحايل على المشكلة،واقترب منها مرات فى أسلوبه الذكى والإنسانى الذى يبدأ من

الواقعية وينتهى إلى المثالية . ليفتح الباب أمام بشرية الإنسان بقدر ما تطيق ويطيق .

دعا الإسلام إلى العتق وإطلاق سراح الرقيق حتى أسرى الحرب . والأسر فى الحرب سائد حتى الآن ، وقف الإسلام إلى جانبهم فدعا إلى فك أسرهم وبلا مقابل ، وإما قبول الفدية مع حسن معاملتهم فى الحالين وهو مالا يحلم به المحارب فى القرن العشرين وخاصة فى الحروب العنصرية واللانسانية التى لم يستوجبها دفع أذى أو حفظ دماء ، بل أشعلها البغى وشهوة التوسع وسعار الجشع ونزعة الاعتداء .

دعا الإسلام إلى العتق فى صور شتى لو نفذت مجتمعة أو منفرقة لما بقى على ظهرها مستعبد أو رقيق .

جعل الإسلام **عتق الرقبه كفارة للحنث فى اليمين** فى قوله تعالى :

(لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) (١)

وكفارة الظهار تحرير رقبة (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين — متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) (٢)

ودلالة أخرى فى هذه الآية ، اعزاز المرأة نفسا وروحا ومشاعر .

وكفارة القتل الخطأ ، تحرير رقبة .

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم عدو

---

(١) النساء : ٨٩ .   (٢) المجادلة : ٣ ، ٤ .

لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمن فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) (١)

وكفارة الإفطار المتعمد فى رمضان ، تحرير رقبة :

وضرب العبد أو لطمه يوجب تحريره . كفارة ضرب العبد تحرير رقبة امعانا فى تكريم الإنسان مهما صغرت مكانته الاجتماعية وإمعانا فى العتق وانتصاراً للحرية .

هذه الحرية جعلها الإسلام مصرفا من مصارف الزكاة وغاية نستهدفها وهدفا نتغياه . إنها **فريضة من الله** فى الآية النبيلة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ..)(٢)

وفى آية أخرى تجلو الجوهر الحقيقى للدين (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب)(٣)

بل قدم الكتاب الكريم فك الرقبة على الطعام ومتى؟ فى يوم ذى مسغبة أى فى جائحة جوع ومن ؟ اليتيم ذى القربى . أو المسكين الفقير .

(فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة)(٤)

كما فتح الإسلام باب (**المكاتبة**) أى اتفاق العتق بين العبد وسيده نظير مبلغ من المال .

ولا يكتفى الإسلام بهذا بل يطلب إلى السيد ، بعد الاستجابة ، التخفيف عن العبد فى المال الذى يدفعه بل رفده وإعطائه ! (والذين يبتغون الكتاب

---

(١) النساء : ٩٢ .
(٢) التوبة : ٨٠ .
(٣) البقرة . ١٧٧ .
(٤) البلد : ١١ ــ ١٦ .

مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً . وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (١) .

وحرم الإسلام ملك القريب والزوج والزوجة حفظاً على علائق من حقها الإعزار والتكريم لا الاسترقاق .

لقد بلغ من تلهف الإسلام على الحرية والميل إلى جانبها أن توسع فى الوصية إذا كانت لعتق رقبة . أى إذا تجارز مقابل العتق ، الثلث ، وهو الحد الأقصى للوصية .

فعلى خلاف المتبع فى الوصية فى جميع حالاتها يستثنى العتق أو يؤثر بزيادة ليست لغيره من أغراضها :

• فالمالك لايجوز له الرجوع فى الوصيه . لوتجاوزت قيمة العبد ثلث التركة فان العتق ينفذ أيضاً .

بل تلهف الإسلام على العتق وتلمس له أرهى الأسباب .فالمالك إذا قال مازحا أو عرضا بعتق عبده ، أصبح العبد حرا .. .. مع أن الإسلام يحتفل كثيراً بالقصد والنية فى أمور المسلمين إلا أنه فى حال العتق يعفى العبد من هذا الشرط توسلا إلى خلاصه وسبيلا إلى حريته .

وكم للرسول الإنسان من أقوال دمثة تخفف غلواء الرق وتتعاطف مع الرقيق .. بعض هذا قوله البادى الشفقة والإحساس :

(الله . الله . فيما ملكت أيمانكم) .وقوله (ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجراً فى موازينك) وقوله(للمملوك طعامه وكسوته. ولايكلف من العمل ، مالا يطيق .) وقوله (هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه) .

---

(١) النور : ٣٣ .

وكان له عليه السلام بنات . والشفقة عليهن فى الحياة وعند الوفاة مشاعر لاتغيب عن وجدان الأب الحانى العطوف . ولكن حين حضرته الوفاه أوصى باثنين لا ثالث لهما : الصلاة أى ذكر الله والرقيق .

وفى رحمة آسرة ينمتم وقد بلغت الروح التراقى : (الصلاة وما ملكت أيمانكم) .

يقول جوستاف لوبون فى كتابه الذى تناول فيه حضارة العرب : (إن الذى أراه صادقا هو أن الرق عند المسلمين خير منه عند غيرهم ، وأن حال الأرقاء فى الشرق أفضل من حال الخدم فى أوربا ، وأن الأرقاء فى الشرق يكونون جزءا من الأسرة ... وأن الموالى الذين يرغبون فى التحرر ينالونه بإبداء رغبتهم ..

ومع هذا لايلجأون إلى استعمال هذا الحق .

إلى هذا الأوج أعلى الإسلام كرامة الإنسان حتى ولو كان مملوكا أو أسيراً .

يقارن من يشاء ، هذا ، بما حولنا فى زمننا ... فى القرن العشرين بعد أربعة عشر قرنا من ظهور الإسلام ليعلم علم اليقين أن شرف الانتساب إلى الإسلام حق لمن يتفهمه ويتمثله . وعندئذ يحمل اسما هو جدير بشرف الانتساب إليه باليقين العقلى والقلبى معا ، لا بشهادة الميلاد .

موضوع آخر يتصل بإنسانية الإسلام وسماحته السمحة .

إنه الأخوة الإنسانية فلا تعصب عنده ولا كره ولا إكراه مما يورث العداوة ويؤجج النزاع ويشعل الصراع فى المجتمعات فيما بينها فى الداخل والخارج .. فهو لم يشرع الحرب إلا لدفع ظلم أو دفاع عن الديار أو رد اعتداء أو حين تفرض الحرب على المسلمين (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين)(١)

---

(١) البقرة : ١٩٠ ــ ١٩٤ .

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ،الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (١)

أما غير المعتدين فلم يكتف الإسلام بمسالمتهم بل زاد البر بهم (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (٢)

بل بلغت إنسانيه الإسلام ذروة بعيدة المدى حين شرع **إجارة المشرك وإبلاغه مأمنه** أيضاً (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتىٰ يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لايعلمون) (٣)

لم يبدأ الإسلام بعدوان يقول الفقيه ابن تيمية (كانت سيرته عليه الصلاة والسلام أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله ، وهذه كتب السيرة والحديث والتفسير والفقه والمغازى تنطق بهذا، وهذا متواتر من سيرته عليه السلام — فهو لم يبدأ أحد بقتال) .

لقد غلبوا الفرس والروم، لا بالسيف ، فما عند الروم والفرس من السلاح أكثر ،ولكن التوحيد كما قلت لك يوما فيما يدور بيننا من حوار وقراءات وكما كتبت يوماً .

إن الإيمان بالله قوة لاتقهر لأنه رؤية رائعة فادام لا إله غيره ولا قوى غيره ولا سلطان غيره فلا يخشى غيره ... إن انتشار الدعوة الإسلامية من جنوب الصين إلى جنوب فرنسا يقف أمامها الذهن بمنطقه وقياسه مشدوها.

---

(١) الحج ٣٩ ، ٤٠ . (٢) الممتحنة : ٨ ، ٩ .
(٣) التوبة : ٦ .

سيف ؟ لا يمكن أن يصنع السيف هذا . فى أندونيسيا ما يربو على مائتى مليون مسلم . هل فتح الإسلام أندونيسيا بالسيف ؟

وخرج هولاكو ومن معه من صحراء كما خرج العرب . وفتح بالسيف ولكنه لم يخلف دولة أو حضارة أو ذكرا باقيا .

إذن ليس السيف ... بل المبادئ والقيم وإنسانية الدعوة وطبها لروح الإنسان .. كل الإنسان روحه وعقله وقلبه وجسمه .. ..

إرادته وحريته فى الرفض والقبول

لقد عترف الإسلام بالإنسان .

واعترف الإسلام بالأديان .

واعترف الإسلام بالحضارات .

فمالت كلها إليه واستجابت كلها له ، والتقت به أخذاً وعطاء . وكم لأعلام الإسلام من مواقف يشرف بها تاريخ الإنسان فى كل مكان . ولو لم يكن مسلما ولكن منصفا ... وسيرة عمر على سبيل المثال لا الحصر حافلة بهذه المواقف .

الذى أضيفه أن أكبر دليل على انتفاء الإكراه فى الدين عند الإسلام إباحته زواج الكتابيه . إذن هو لايكره الأديان الأخرى ولا يعاديها ، بل يحمل لها من الاقرار والاحترام ما يمكن معه أن يتزوج المسلم من كتابية والزواج حب ورحمة وسكن وطمأنينه ، إذن يستطيع المسلم أن يحب ويطمئن إلى كتابيه متفيئا وإياها ظل الآية الكريمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمه) بلا تفريق بينها وبين المسلمة فى وضعها ، فالزوجة هى الزوجة .

وهنا يسود المجتمع الرضا والسعادة والرحمه مما ينتفى معه التعصب . فإباحه زواج الكتابية بما يترتب عليه من حب الأولاد المسلمين وجوبا تبعاً لأبيهم ، أخوالهم وأسرة أمهم يشيع فى المجتمع المحبة والتسامح ويفتاح الضغينه والتعصب .

وحتى إذا كان الزوج من كتابية « جوازاً » لا قاعدة فيكفى التقبل والإجازه .

ثم بعد هذا إتاحة القيام بفرائض الدين الآخر للزوجة الكتابيه وفيه من سماحة الإسلام ما فيه .

حتى فى الحوار ارتفع الإسلام فى خطاب النفس وخطاب اللفظ معا فى صفاء شرعة الله ونقاء الحق ووثوق اليقين (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا **وأنزل** اليكم . وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) .

واشتراط «النزول» هنا ينفى الالتزام بما وضعه أصحابه خدمة لمآربهم مما لايقره المنصفون من أبناء جلدتهم أنفسهم .

مفكرون أنصفوا الاسلام

إن دينك يابنى احترمه كل ذى فكر مبرأ من الهوى . استمع إلى « برنارد شو » وهو واحد من كبار الكتاب الإنجليز ... كاتب سخر من كل شيء حتى من الإنجليز والاستعمار الإنجليزى ولكنه أمام الإسلام لم يملك إلا أن يقول (إنى دائماأحترم الدين الإسلامى غاية الاحترام لما فيه من القوة الحيوية . فهو وحده الدين الذى يظهر لى أنه يملك القوة المحولة التى تغير صورة الكون ، ذلك لأنه يوافق كل جيل ويتمشى مع مصلحة البشر فى كل زمان . لاشك أن العالم يقدر تكهنات رجل مثلى . أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوربا غداً (المستقبل) كما أنه قد أخذ الأوربيون يقبلونه من اليوم) .

هذا رأى كاتب يابنى .. أنتقل بك . بعده . إلى رأى عالم،بل إمام العلوم المادية فى عصره وفى أوربا... استمع معى إلى رأى الدكتور أرنست هيجل الفيلسوف الألمانى الذى انتقد جميع الأديان فى كتابه (لغز العالم) ثم ما لبث أن قال عن الإسلام :

(وبالرغم من ذلك يجب علينا أن نعترف بأفضليةالدين المحمدى . وأنه فى أثناء تطوره التاريخى ، وتفرق الفرق فيه ، قد احتفظ بعقيدة التوحيد خالصة ، احتفاظا لا مثيل له فى الدينين : الإسرائيلى والمسيحى. يظهر هذا حتى الآن فى أدعية المسلمين وصلاتهم، وخطبهم، وفى كل أنحاء عباداتهم، كما يتجلى أيضاً فى فن العمارة عندهم الذى شيدوا به مساجدهم. وفى ذوقهم الدينى الذى زينوا به هذه المساجد .

وفى سنة ١٨٧٣ حينما زرت الشرق لأول مرة أدهشنى جلال المساجد فى القاهرة وأزمير ، وبروسه ، والقسطنطينية . وملأت قلبى هذه المساجد

بالروعة والإجلال الخالص بما فى داخلها من السجف الأنيقة ، والطنافس البديعة ، فى بساطة تتفق والذوق السليم ، وبما فى ظاهرها من جمال الفن وزخرفه البديع .

ما أجمل وأنبل هذه المساجد! إذا قورنت بالبيوت والصوامع الكاثوليكية المفعمة بالتماثيل المختلفة الألوان والأصباغ والأشكال، والمشحونة بأدوات الزينة اللامعة أحاطها من ورق ونضار. والمثقلة من الخارج بتهاويل الأناسى وأشباح الحيوانات .

وليست أدعية المسلمين أقل من ذلك جلالا ، وهم يرتلونها بصوت خاشع فى معابدهم ، وكذلك تلك الآيات القرآنية الواعظة التى يقرأونها بالنسبة إلى ما يبتهل به غيرهم فى كنائسهم من الأصوات الصاخبة مع ضجيج موسيقاهم المسرحيه فى الأعياد والمواسم) .

إن دينك يابنى لم يكن طقوساً فحسب ، بل كان حضارة صنعت النهار فى ظلام العصور الوسطى بأوربا. لقد أدخل المسلمون فى أوربا ثلاثة اختراعات مهد كل منها للنهضة العلمية التى أثرت فى العالم بأسره ونسبا إلى أوربا تحت اسم المدنية الحديثة . هذه الاختراعات هى : **إبرة الملاحين** التى كانت دليل أوربا فى البحار حتى بلغت أطراف الأرض .

البارود : الذى أوقف ساطة النبلاء المسلمين .

الورق : الذى نقله عن المسلمين فى الأندلس، فدخلت أوربا فى عالم الطباعة بعد أن كانت المخطوطات القديمة تمحى مرة بعد مرة لكتابة القداس وحكايات القديسين ، حتى ليندر أن توجد مخطوطات أوربية أقدم من القرن الحادى عشر . وكانت باهظة الثمن . ومن الطريف أن كاؤنتس آنجود ، دفعت مائتى رأس من الضأن وخمسة مكاييل من الحنطة والذرة ثمنا لكتاب المواعظ .. وعندما أراد الملك لويس الحادى عشر أن يستعير تصانيف طبية للإمام الرازى من مكتبة جامعة باريس ، قدم مقداراً من الذهب للتأمين ،

وانسطر زيادة عليه أن يقدم شريكاً لينضم إليه بصفة ضامن فى عهد يجبره على إعادة الكتاب

إن المسلمين فى الأندلس بدأوا يصنعون الورق فى البداية من الحرير كما كانت تصنع الصين، وكما كان يصنع فى سمرقند وبخارى... ثم صنعوه من القطن مثل ورق دمشق ثم من الكتان فصناعة الورق من كتان كانت إلى مدة طويلة من احتكار شاطبة بقرب بلنسية . وما أدخلت فى قاطالونيا، ويراونس ، وأخيراً فى تريويزو وبادوا .

لسنا نحن الذى نقول هذا ، بل هو ترجمة لما قاله الأستاذ روبرت بريفالت ، مؤلف كتاب (تكوين الإنسانية)الذى يقول(إن أنوال الشام والأندلس التى اشتغلت منها ستة عشر ألفا فى أشبيلية وحدها، ومائة وثلاثون ألفا من عمال الحرير فى قرطبة . كانت تنسج جميع اللوازم للباس الأمراء ، وللأردية المقدسة للمطارنةالمسيحيين ولم يكن هناك منظر غير عادى لورؤى رهبان فى تأدية الطقوس الدينية ، يلبسون حلة الكنيسة المطرزة عليها بكل أنافةالآياتالقرآنية)(١)ويمضى روبرتبريفالتفىإنصافهفيقولإن المصنوعات الشرقية أدخلت فى أوربا المسيحية شيئا فشيئا ثم قلدت : فأنوال الحرائر أنشئت فى صقلية النورماندية ، وقلدت مدينة بندقية فى صناعة أوان زجاجية مدينة أنطاكية ، كما قلدت مدينة ليون حرير دمشق المشجر . وباريس السجاجيد العربية ، وريمز ، المنسوجات الكتابية السورية .

وحملت الصاغة الشرقية إلى بروج حيث استعملت لإعداد الصوف الإنجليزى للسوق .

كذلك كانت بضائع الأندلسوميورقة سببا لتأسيس المصانع الإيطالية للأشياء المزخرفة ، كما نقلت مصانع السكر من صقلية إلى إيطاليا ، ومن الأندلس إلى جنوب فرنسا .

---

(١) كتاب (تكوين الانسانية) تأليف روبرت بريفالت ترجمة السيد ابو النصر أحمد الحسينى ص ١٦٥ .

ومثل هذا فعله في العلوم والفنون. وكيف مرت أوربا فيها بطور الأخذ والنقل عن المسلمين، ثم لم يلبث أن أعلن (أن أول أجزاء أوربا في التقدم من طور الهمجيه هوالذى كان تحت نفوذ الثقافه العربيه مباشره أى الداخل في الحدود الأسبانية والمشتمل على قاطالونيا، وبراونس وصقلية) (١) .

وحين يكون التقليد سهلا ، والانتحال أسهل ، طمح الإسلام إلى جديد رائق فأعطاه .. أعطى جديداً مهما قيل أنه قديم متطور محور، فالتطوير والتحوير، إضافة تضفي وتضيف.. .. ومع هذا فقد كان للإسلام عطاءات مستمدة من آياته هو ، وقيمه هو .

كان وراء الفنون في البلاد الإسلامية : في طراز البناء أو أسلوب الزخرفة ...

كان وراء الأعمال الاجتماعية الإنسانية كالمحابس (الوقف الخيرى) وبعض الواقفين كان يوقف لتغطية الخادم الذى كسر إناء مخدومه ! أو حتى ورعاية الحيوان ...

كان الإسلام وراء الأسبله ووراء كل عمل نبيل في دولته وممالكته تماما أصل من عقيدة الحساب والثواب والجنة والدار الآخرة .

يقول جوستاف لوبون (إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)

إن أعدى أعداء الإسلام وهو رينان يقول (مادخلت مسجدا قط إلا اعتراني شعور بالندم على أنني لم أكن مسلما ..)

وفي هذا بلاغ

وحين لم يسلم رينان ، أسلمت مدن بالفعل أو بالتناب .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ .

حتى لام الإمبراطور « لودويج» الثانى مدينة « نابولى » لأنها أصبحت مدينة إسلامية كـ « بالرمو » فمدينة « أمالفى ».والمدن الإيطاليه الحرة الأولى فى جنوبى إيطاليا عقدت تحالفا مع مسلمى صقلية سنه ٨٧٥ م. وفعلا ساعدوا أهاليها حين زحفوا إلى أبواب روما متحدين حرمان بابا يوحنا الثامن ،ولذلك حين أعلنت الحروب الصليبية ضد الإسلام،رفضوا أن يحملوا السلاح على المسلمين لأنهم ساعدوهم لنيل الثروة والعظمة .

الذين يجحدون الاسـلام
ماذا ينقمـون من الاسلام

ومع هذا يابنى لم يسلم الإسلام من الشانئين له ، المتزيدين عليه أمثال (كيمون) فى كتابه « باثولوجيا الإسلام » الذى ألحق بالإسلام ما لايقوى قلمى على نقله وهو لايستحق . فنى اعتقادى أنه افترى ماشاء من شدة إحساسه بخطر الإسلام، ولو كان الإسلام كما قال لما كلف نفسه الهجوم عليه .

لقد كتب مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا فى جريدة (الجرنال) مبصرا قومه بخطر الإسلام داعيا إلى مواجهة هذا الخطر ومتى ؟ فى العصر الذى استفحل فيه استعمار الغرب للشرق العربى الإسلامى ! ! ومما جاء فى هذا المقال الذى رد عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قول هانوتو :

(إن شعبنا الذى يبلغ عدد أبنائه أربعين مليونا هو الذى تقلد زمام إدارة شعب آخر لايلبث أن ينمو حتى يساوى ضعف عدده، وهو ذلك الشعب المنتشر فى الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة ، والمتبع لتقاليد وعادات غير التى نعنو لها ونحترمها ، هو الشعب الإسلامى السامى الأصل .

ليس الإسلام فينا فقط بل هو خارج عنا أيضاً قريب منا فى (مراكش) قريب منا فى (طرابلس الغرب) التى تم بها المواصلات وبين الطوائف الإسلامية فى باطن القارة الأفريقية – قريب منا فى مصر (حيث صادمت الدولة البريطانية) وهو موجود وشائع فى (آسيا) حيث لايزال قائما فى (بيت المقدس) وناشراً أعلامه على مهد الإنسانية ، ويحسب أنصاره وأشياعه فى قارات الأرض القديمة بالملايين ، وقد انبعثت شعبة منه فى بلاد (الصين) فانتشر فيها انتشاراً هائلا حتى ذهب البعض إلى القول بأن العشرين مليونا

المسلمين الموجودين فى الصين لايلبثون أن يصيروا مائة مليون فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (الساكياموني) .وليس هذا بالأمر الغريب فانه لايوجد مكان على سطح المعمورة إلا وأجاز الإسلام فيه حدوده منتشراً فى الآفاق، فهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه ، ففى البقاع الأفريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون إلى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك فى هذه الدنيا، كما أن أمثالهم فى القارة الأسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الإسلامى ، ثم هو ، أى هذا الدين ، قائم الدعائم ثابت الأركان فى أوربا عينها – أعنى فى الأستانة العلية حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومة الإسلام من هذا الركن المنيع ، الذى يحكم منه على البحار الشرقية، ويفصل الدول العربية بعضها عن بعض شطرين .

فى باحات قصر يلدز ترى العلماء والدراويش ، وقد تدثروا بثياب الصوف ، وتعمموا بالعمائم الكبيرة جالسين على الأرائك بجانب سفراء الدول . هم هناك يمثلون فى الخاطر أشخاص ألف ليلة وليلة لايحركون من مقاعدهم ، ينبسون بكلمات ،تطابق تحريك أيديهم حبات السبح، منتظرين مجيء دورهم فى المقابلات لعرض طلب أو توجيه لوم. وكل المسلمين ممن يقيمون فى (الآستانه) أو فى (مراكش) فى أرجاء أسيا أو أصقاع أفريقية من بدو كانوا أو حضر ، واقفين فى أماكنهم أوسارين مع القوافل ، يركعون مع الراكعين إذا حانت الصلاة ،يتوضأون أو يتيممون بالتراب مولين وجوههم جميعا شطر الكعبة،وسواء منهم الذين يلبسون الثياب الواسعة أو يتزينون بالسترة الاسلامبولية ، والذين يلبسون الطربوش أو العمائم على رءوسهم والذين يضعون السيف فى نطاقهم أو يتلقون العلوم فى مدرسة برلين الجامعة ، أو يدرسون علوم السياسة فى باريس ،فإنهم وجهتهم شطر جهة واحدة هى الأرض المقدسة ، هى الأرض التى تكتنفها الصحراء ، هى الأرض التى عاش فيها محمد (ص) هى الأرض التى تتضمن جسمه المبارك

فى قبر لايجسر أحد على الوصول إليه إلا مغطى الوجه حياء وهيبة . هى الأرض التى جاء منها الآباء ويعود إليها الأبناء بحركة مستمرة هى الحج الأبدى إلى بيت الله الحرام. وجميع المسلمين عن بكرة أبيهم يرنون بطرفهم إلى هذا المكان المقدس . ويمدون إليه أعناقهم ولايجدون لذة فى الحياة إلا بأمل العودة إليه ، ومن مات منهم ولم يكن أدى فريضة الحج مات على أسف وحسرة . وخلاصة القول أن جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة . وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذى تتصل به أشياء تتحرك بحركته وتسكن بسكونه ، بل هى القطب الذى انتهى إليه قوة المغناطيسية — من بئر زمزم الذى ينبع منه الماء المقدس ، من الحجر الأسود المحاط باطار من فضة — من الركن الذى يقولون عنه أنه سرة العالم ، وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة التى استحثتهم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام — اشتعلت جذوة الحمية الدينية فى أفئدتهم ، فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفا وتقدمهم الإمام مستفتحا العبادة بقوله : (باسم الله) فيعم السكون والسكوت . وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف من المصلين فى تلك الصفوف ، ويملأ الخشوع قلوبهم ، ثم يقولون بصوت واحد (الله أكبر) ثم تعنو جباههم بعد ذلك قائلين : (الله أكبر) بصوت خاشع يمثل معنى العبادة) (١) .

إلى هذا الحد يابنى يرصدون الإسلام ويستشعرون خطره ويعملون له ألف حساب إذا بعدوا عنه أو اقتربوا منه . فى المقال نفسه يقول هانوتو (إن فريقا كبيراً من العلماء النظريين والعمليين من موظفين وضباط وأساتذة ومهندسين ومزارعين ومستعمرين قد كانوا ، ولايزالون على اتصال بالمسلم . وجعلوا أحوال معيشته وطرق أعماله موضوع بحثهم ودراستهم . ولكن **المسلمين أنفسهم قد ينبئوننا بما نجهله من بقية أخبارهم فهو إذا سئلوا أجابوا** ، وإذا أجابوا فاضوا ! !) .

---

(١) كتاب (الاسلام بين العلم والمدنية) الشيخ محمد عبده ص ٣٩ .
(٢) معنى هذا أننا نفتقد فضيلة الاحتراس الواجب ، وفضيلة الاقتصاد فى الكلام ، ومن كثر كلامه ، كثر تبعا لهذا ، خطؤه .

إنهم يابنى يستعينون بنا، علينا . إنها بعينها طريقة أمريكاالآن من خلال الأبحاث المشتركة .

ليتنا نعى هذاالكلام جيداً ولانكشف خبايا صدورنا ومكنون أنفسنا. أنهم بكل أقمارهم الصناعية ووسائلهم التى يحشدونها لمعرفة كل شىءعنا حتى يسهل عليهم تتبيعنا لهم ثقافيا واقتصاديا وسياسيا .. إنهم على الرغم من هذه كله ، هناكمنطقة حرام لايصلون إليها وهى إحساسنا الحقيقى بهم وبوسائلهم، ومنطقة حرامهى رأينا الحقيقى فى حضارتهم وفى أعمالهم وفى أسلوبهم ونياتهم. وقد ثبت لهم من أحداث إيران أن استعمارهم الجديد ينقصه ،الكثير ، ليعرفه .

فلنحتفظ يابنى بالمنطقة الحرام فى نفوسنا وحياتنا... لنحذر الإدلاء إليهم بكل شىءتحت أى اسم من الأسماء أو تحت أى إغراء،هو فى النهاية لايساوى شيئا مما يستولون عليه فى غفلة منا .

ما أشبه الليلة بالبارحة !!

إن العالم الإسلامى حتى فى ضعفه ، يخيف الأقوياء لأنهم يحفظون جيداً أن الإسلام فى مبدأ أمره حين أزاح إمبراطورية الفرس، وأطاح بإمبراطورية الروم ، لم يكن أتباعه أو جنوده فى ذلك الوقت، الأعلم أو الأغنى ، أو الأكثر عددا وعدة ، بل العكس هو الصحيح .

إذن هى شحنة الإيمان بالإسلام ، وقدرته القادرة على التحريك ولكن متى يكون ذلك ؟

تاريخ الإسلام يثبت أنه عندما يعتنق على وجهه الصحيح ، تصير الغلبة للمسلمين، وعندمايهبط به المسلمون إلى طقوس مسطحة مجردة من الجوهر يهبطون بدورهم ويتخلفون عن الريادة والقيادة، لسيادة الشكليات دون الأساسيات التى تبنى النفوس وتبنى ، ببنائها ، الأنظمة .

والمسلمون اليوم ،ابتعدوا عن الإسلام الجوهروالمعنى !وكأن رسولهم كان بنقاء الفطرة وحكمة الرسل ، يرى هذا اليوم من وراء القرون فيقول :

(سيأتى يوم تتهافت عليكم الأمم تهافت الأكلة على قصعتها) ويسأله من حوله : أمن قلة يارسول الله ؟ فيقول : (بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل . ينزع الله من قلوب الناس مهابتكم لما أصابكم من الوهن . فقالوا : وما الوهن فقال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

والمقصود بكراهية الموت افتقاد الأعمال الصالحةالتى هى زاد الدار الآخرة . وحين تسوء الأعمال ، فان كل شيء ، قبل هذا يكون قد اهتز ، إن الإنسان أعظم ثروة..هذا إذا كان إنسانا يستحق ما وهبه الله من نعمةالعقل والقلب والبصر والبيان.. أما إذا كان كغثاء السيل فهيهات للكثرة أن تهاب أو تجاب حتى ولو كانت تملك الموقع الفريد أو الوسط الذهبى بين الشرق والغرب ، بين الشمال والجنوب... وحين يتطلع آخرون إلى مكان فى البحر الأبيض يملك العالم الإسلامى شطرا ليس بالهين أو القليل الشأن فى البحر الأبيض بل المحيط الهندى والأطلسى .. أما البحر الأحمر فيكاد يكون بحيرة إسلامية ، ويملك العالم الإسلامى النيل وأنهارا أخرى ، ويملك العالم الإسلامى ثروات الأرض من الزراعة وثروات الصحراء من البترول ولكن ما جدوى هذا كله بدون وعى ،فى حجمه،وبدون تماسك، على مستواه، يجعل هذه الطاقات فعالة تملك الكلمة والقرار... وهذا التماسك لايتحقق إلا إذا تمسكنا أولا بالدين فى صورته المشرقة ووجهه الصحيح والصبيح :

ما هى أسباب قوة الغرب ؟

التكنولوجيا،أى العلم التطبيقى أى ذكاء الوسائل فى المصنع والمتجر والمعمل والجو طيرانا ، والبحر سفائن وعبارات ، والفضاء أقماراً صناعية وصواريخ .

ولكن هذا كله يقف وراءه البترول... والبترول أكثر من نصفه فى الوطن الإسلامى أى أننا نملك المفتاح ولكننا أضعناه.. أضعنا المفتاح مرتين .

الأولى : أننا لم نستخدم هذا السلاح إذا استثنينا حرب سنة ١٩٧٣ .

الأخرى : العائد المالى منه يذهب إلى بنوك الغرب فيزدهر ويزداد قوه وثراء حين نزداد تخلفا ، بل هو عند اللزوم يضربنا بسلاحنا .

بل إن البترول يبنى آلاف الصناعات مماتسمى (بتروكيماويات) وهى صناعات نستوردها بدلا من أن نصدرها... بل إننا نستورد الطعام أيضاً ونحن نملك فى الوطن الإسلامى ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة ومع هذا فان العالم العربى وهو جزء فقط من العالم الإسلامى- سيدفع (فى نهاية هذا القرن ٣٦٠٠ مليون دولار سنوياً لاستيراد الحبوب(فقط) أى ما يساوى سبعة ملايين دولار كل صباح) (١)

وهنا أقول مرة أخرى : الاسلام علم و .. عمل .

كم لاقى الإسلام يابنى من أعدائه حتى إذا فرغت جعبتهم من التهم... قالوا إنه توسل إلى الانتشار بالوعود والإغراءات ... فخدم الظروف الطبيعية من حرارة محرقه وحياة جافة قاسية ، فى وعد المؤمنين به، بالجنة والأنهار والفاكهة والرخاء النفسى والمكانى .

ونسوا بالقياس الوعود المادية لغيره من الأديان والرسل.. نسوا ما جاء فى سفر التكوين من أن الله قال لنوح وبنيه بعد الطوفان (أثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض) (٢) .

ودعوة أسحق (فليعطك الله مع ندى السماء ، ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ..)(٣)

وموسى يبلغ (إذا سلكتم فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بها ، أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى أشجار الحقل أثمارها ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع .. .)(٤)

---

(١) كتاب (أربعة عشر قرنا من الاسلام على الأرض) .
(٢) سفر التكوين ٩/١ .
(٣) سفر التكوين اصحاح ٢٧ جملة ٢٨ ـ ٢٩ .
(٤) سفر التكوين الاحبار اللاويين ٢٦/٣ ـ ١٧ .

وهذا كله فى الحياة الدنيا حيث لم ترد فكرة الحياة الأخرى فى دين غير الإسلام ... وهذا سر ضراوة اليهود وبشاعة سلوكهم، لأنه لا أمل ولا رجاء فى حياة أخرى تخفف حدة الصراع فى دنياهم أو تعدبالجزاء الخير للكريم أو الرحيم ولا أقول الذين (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) كما جاء فى كتاب الإسلام .

على أن جنة الإسلام ليست طعاما وشرابا ومتاعا وما من سيء غير هذا بل هى جنة راقية سامية صافيه أهلها (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلاقيلا سلاما سلاما)

حين عدد الله النعم فى الجنة التى يهبها المتقين . نوه بنعمة نقاء الصدر من الشر . (ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار) (١) .

فالصدر النقى قدمه على نعمة الأنهار تجرى من تحت عيون أهل الجنة والأنهار الجارية أمام العين (أنزه ما يلذ النظر وأطهره) كما يقول الشيخ دراز ويقرر الواقع الذى نلمسه جميعاً .

وحتى الطعام الذى يقول به أعداء الإسلام فى محاولة غمز . ليس طعام اللذة حيث يقول القرآن الكريم (فواكه وهم **مكرمون**) أى غير محتاجين حفظاً للجسم أو ردعا للجوع بل هو تكريم وتنعيم فان المفهوم الإسلامى لأهل الجنة أن الله يمن عليهم بأبدان لاتقبل الفساد أو الضعف أو الشيخوخة أو التحلل بدليل وعده لهم بالخلود وبالشباب .

وقد يقول قائل لماذا يحرم الشراب فى الدنيا ويباح أو يتاح فى الجنة ؟ والجواب أن شراب الجنة (طهور) :

(يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ((ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) وأن جنتهم (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) (٢)

---

(١) الأعراف / ٣ .
(٢) الصافات / ٤٧ .

(لايصدعون عنها) (١) و (لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا) (٢) جنة (لا لغو فيها ولا تأثيم) (٣)

(حتى الزواج فيها رفقة علوية (أزواج مطهرة)(٤) وزوجات(فيهن خيرات حسان) (٥) و (قاصرات الطرف عين) (٦) .

حتى ليقول ابن عباس وهو من أصوب المفسرين رأيا بين صحابة النبي عليه السلام (ليس فى الدنيامن الجنة شىء إلا الأسماء) .

ونستطيع أن نقول قياسا عليه(ليس فى الجنة من الدنيا شىءإلا الأسماء ثم هى تعلوها وتفوقها .

عندما وصف الله الجنة بأكرم وأجمل وأطيب الصفات قال فى النهاية (ورضوان من الله أكبر) فما بالنا بالدنيا وهى مهما بلغت لاتدانى الجنة ولا تشائيها ، هل يعلم الناهبون الباطشون أن ما جمعوا وإن تعاظم، لاقيمة له إذا باءوا بغضب من الله ؟

---

(١) الواقعة / ١٩ .
(٢) النبأ / ٣٥ .
(٣) الطور / ٢٣ .
(٤) البقرة / ٢٥ .
(٥) الرحمن / ٧٠ .
(٦) الصافات / ٤٨

ما هو السر

لعلك يابنى تقول فى نفسك مادام الإسلام بكل هذا الإشراق والنقاء، لماذا يكثر أعداؤه ولماذا يلتقون على حربه حتى حين تتفرق بهم المصالح والمنافسات ؟ هل هو موقع وطنه الكبير على خريطة الدنيا بما لهذا الموقع من مزايا فريدة ؟

هل هى خيرات وطنه الكبير المتعددالموارد والثروات التى حكى عنها التجار وأشعلوا خيال أوربا بها وهو السبب الحقيقى وراء الحروب الصليبية وإن تسترت بالمسيحية السمحه حتى كان البابا الذهبى يمنى فرسانه بالشرق قائلا (إن أرضه تدر سمنا وعسلا) ! فلما نفذوا رغبته ، كتبوا إليه يباهون بالدماء التى أراقوها بعد دخولهم بيت المقدس قائلين : (.. إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا ، فثق أن فى معبد سليمان، كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر من دماء الشرقيين !) ولم يكن الشرقيون مسلمين فقط بل كانوا مسلمين ومسيحيين معا !

مرة أخرى يابنى نتساءل معا : لماذا كثر أعداء الإسلام ، ديننا ؟

هل هى شدة جاذبيته التى تجعل أهل الديانات الأخرى يدخلون فيه حين لا يخرج مسلم منه إلى غيره ؟ وهى شديدة ؟

هل هو رد على فتوحات الإسلام وخاصة فى أوربا التى بقى فيها تسعة قرون ، ستة قرون منها مسيطراً فى الأندلس، وعليها ؟ على الرغم من أن هذه القرون كانت سبيل أوربا إلى العلم والحضارة والمدنية ؟ تطبيقاً وانطباقاً لهذا الصوت الحكيم الكريم (اتق شر من أحسنت إليه ؟)

هل هو رد للجزية التى فرضها العرب على روما فى القرن التاسع الميلادى وظل البابا يوحنا الثامن يدفعها ، عامين ، ومقدارها ٢٥,٠٠٠

خمسة وعشرون ألف رطل من الفضة ؟ (١) هذا فضلا عن أسبابهم الشخصية ورغبة الملوك فى التخلص من منافسيهم من الأمراء .

تعددت الأسباب ولكنها جميعاً تعللت بالإسلام .

ومع هذه الأسباب المتعددة والواردة بالطبع . فان هناك سببا حقيقيا يخفيه أصحابه وإن كانوا يعرفونه ، ويغيب عن كثيرين من المسلمين فلا يتبينونه ، هذا السبب إنما هو **قوته الذاتية** التى ينطوى عليها . والتى إذا انفسح لها الطريق وخلا من العوائق ، انطلقت إلى غايات بعيدة المدى ترهب أعداءه حتى ولو كانت خالصة للحضارة . فهم لا يريدون منازعاً لهم فى سلطان سياسى أو حضارى ..

وبالأحرى لا يريدون للبلاد الإسلامية انفلاتا من قبضتهم فتضيع عليهم مغانم كثيرة تقلب موازينهم فى بلادهم الأصلية .

* * *

وحقيقة أخرى :

ان الإسلام يعيش فى منطقة الديانات ولكن المسيحية دين فحسب ، بل دين معرق فى الروحانية . واليهودية دين خاص يغلقه أصحابه على أنفسهم . فالاحتكار فى طبعهم ، قد انسحب على دينهم ... واليهودية فضلا عن هذا مغرقة فى الماديه .. أما الإسلام فهو يجمع بين الدين والدنيا .. بين العمل والروح . بين الشعائر والشرائع .

والاعتدال والاتزان والتوازن نجده كما يقول كتاب : (العرب والتحدى) بين طابع حضارتنا المميز حيال قطبى (العقل) و (النقل) (٢)

فعلى حين لا نجد « للنقل » مكانا مع « العقل » فى الحضارة اليونانية . ولا نجد « للعقل » مكانا مع النقل فى الجانب الدينى بالحضارات التى انطبعت

---

(١) كتاب (تاريخ العرب) تأليف فيليب حتى .
(٢) كتاب (العرب والتحدى) للدكتور محمد عمارة .

بالمسيحية ، نجد الحضارة العربية الإسلامية ، انطلاقا مع من الجوهر الأصيل والنقى للفكر الإسلامى ، تقيم توازنا دائما بين هذين السبيلين من سبل الاستدلال والهدايه والإرشاد .. فالذين وقفوا عند ظواهر النصوص ، دون إعطاء العقل مجالا ، بالتأويل ، هم قلة فى الحضارة والتراث . . والذين رفضوا النقل كلية لانلحظ لهم مكانا فى حضارتنا ، وإن وجد لهم أثر فهو ، ولاشك ، أثر يونانى لا عربى ... على حين نجد التيار الغالب والطابع المميز فى هذه الحضارة هو ذلك الذى وازن ما بين (العقل) و (النقل) و (الحكمة) و (الشريعة) على نحو جيد وجديد !

الإسلام دين ودنيا فالأئمة الأعلام يؤيدون هذا قولا وعملا .

الإمام الشافعى يقول فى تأصيل قاعدة قانونية (لاتستشيروا من ليس فى بيته دقيق فإن عقله غائب) . فى محاولة لإحقاق حق الإنسان فى الغذاء ومطالب الحياة .

والإمام الغزالى (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ ، ١٠٥٨ — ١١١١ م) يقول :

(إن نظام الدين لايحصل إلا بنظام الدنيا ... فنظام الدين ، بالمعرفة والعبادة لايتوصل إليهما إلا بصحة البدن ، وبقاء الحياة ، وسلامة قدر الحاجات ، من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ... فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية . وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة ، وطلب قوته من وجوه الغلبة ، متى يتفرغ للعلم والعمل ؟ وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة ؟ فاذن : إن نظام الدنيا ، أعنى مقادير الحاجة شرط لنظام الدين)

والماوردى فى (أدب الدنيا والدين) يقول .

(أعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين :

أولهما . ما ينتظم به أمور جملتها .

والثانى : ما يصلح به حال كل واحد من أهلها .

فهما شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن من صلحت حاله ، مع فساد الدنيا واختلال أمورها ، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لأنه منها يستمد ، ولها يستعد . ومن فسدت حاله ، مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها ، لم يجد لصلاحها لذة ، ولا لاستقامتها أثرا ، لأن الإنسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ، ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه ، لأن نفسه أخص ، وحاله أمس . فصار نظره إلى ما يخصه مصروفاً ، وفكره على ما يمسه موقوفاً) .

* * *

للمرة الثالثة وحتى الألف أقول الإسلام علم وعمل ،

علم دقيق بأعدائنا ودوافعهم وأساليبهم البراقه والكالحة فلا ننخدع بغطاء ذهبي على الناب أو غشاء وردى على المخلب .

علم دقيق بأنفسنا ... بتاريخنا ... بتراثنا ... بعصور القوة وأسبابها ... بعصور الضعف وأسبابها .. .. بهزائمنا ... بانتصاراتنا ...

علم دقيق بما نملك أى إحصاء بالأرقام .

علم دقيق بأوضاعنا الحالية وما يكتنفها .

علم دقيق بمشاكلنا وخلفياتها ... ووسائل علاجها علميا موضوعيا .

علم دقيق بأهدافنا فلا يكفى أن تريد شيئا ولكن يتحتم أن تعرف على وجه التحديد ماذا تريد .

نحن نحتاج إلى تجميع الذات الإسلامية **علميا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا** فى عملية مسح احصائى شامل .. نحتاج **إلى بنك معلومات إسلامى** .

نحن نحتاج إلى مؤتمر إسلامى **علمى** تشترك فيه الكفايات المهاجرة بما أتيح لها من رؤية أوسع وأعرض حتى إذا تساوت فى العلم ومؤهلاته .

مؤتمر إسلامى علمى لايقتصر على« توصيات » تحفظ فى الأدراج ، ولكن يصل إلى بيانات وحلول تتادلها البلاد الإسلاميه وتتدارسها وتدرسها فى المدارس والمعاهد ، وتكون خطة عمل لحكوماتها .. يعمق هذا رحلات جماعية للشباب صناع المستقبل فى الوطن الإسلامى... رحلات فهم وترابط وارتباط واطلاع واستطلاع ليأتى بعدهذا الكتاب فى المدرسة، والمحاضرة فى الجامعة،والفيلم التسجيلى على الشاشة ، توثيقاً وتحقيقاً .

ومن وراء العلم ، أمامنا **عمل** يابنى .. عمل شاق إذا أردناها **صحوة إسلامية .**

لا تحزن يا بنى

الحقيقة أنه ليس الإسلام وحده الذى تعرض للهجوم يابنى فالمسيحية قيل فيها الكثير ، وممن ؟ من علماء مسيحيين مثل دكتور شارل جينيبير رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس. وقد نشأ كما يقول فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق الذى ترحم عنه ، وله ، كتابه (المسيحية .. نشأتها وتطورها) ، نشأ مسيحيا من أب مسيحى ، وأم مسيحية ، ونشأ فى بيئة مسيحية صميمة ، هى البيئة الفرنسيه ، وبيئة كاثوليكية متعصبة ، ونشأ المؤلف كاثولكيا صميما ..)

يقول دكتور شارل جينيبير :

(تصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى « تركيبات » واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كلٌ هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه) .

(ولاشك أيضاً فى أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح : فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا — فى كثير أو قليل من المهارة — بين أطراف من المرويات ، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية كما أن عناصرها تبدو مجموعة فى أطار مصطنع .

وإننا لنلحظ فى ثنايا هذه **السيرة نقصا كثيرا وفجوات خطيرة** ، نلحظها حتى فى إنجيل مرقس الذى بالغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن مولد عيسى وطفولته) .

ويقول المؤلف : (يجب ألا نعتمد فى حسابنا لحياة عيسى كنبى على التقديرات التى يوحى بها الإنجيل الرابع ، والتى بمقتضاها تكون حياته العامة قد امتدت ثلاث سنوات . إن فترة الدعوة فى حياة عيسى اقتصرت بالتأكيد على بضعة أشهر أو حتى بضعة أسابيع ، والتقديرات الدقيقة غير متوافرة)

ونفى المؤلف عن المسيح عليه السلام القول بالتثليث ، إن الثلاثة ليست واحداً كما يقولون ، وإن الواحد ليس ثلاثة كما يقولون هذا القول الذى لا يفهمه المسيحيون أنفسهم ، ولا يفهمه كل من له عقل .

ويقول القديس أوغسطين (أو من بالمسيحية لأنها دين غير معقول !

كيف ينقلب الخبز إلى جسد المسيح ، والخمر إلى دم المسيح ، فاذا أكلت الخبز وشربت الخمر حل فيك جسد المسيح ودمه واتحدت به كما تقول العقيدة المسيحية ، أو فى الحقيقة كما يقول أتباعها ، فعيسى عليه السلام فى المدة القصيرة التى عاشها والمدة الأقصر التى دعا فيها إلى رسالته **(لم يدخل قط فى تفاصيل العقائد** ، **ولم يتحدث عن شريعة** إنه لم يزد عن الدعوة إلى الخلق الكريم وإلى الرحمة والمحبة والتعاطف) .

أما المسيحية الحاضرة فيقول المؤلف المسيحى **(إنها بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر ، غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح) .**

ويروى الكاتب الفرنسى الساخر أناتول فرانس (أن أحد الرهبان ذهب إلى مخزن الدقيق ليحضر منه مقداراً يصنعه خبزا استعداداً لتوزيعه فى العشاء الربانى . ونظر الراهب فى الدقيق فوجد فيه بعض الآثار الحمراء ، فأخذ يقدس الرب بصوت مرتفع ، وهو فرح مغتبط حيث ظهر دم السيد المسيح فى الدقيق قبل أن يصنع خبزاً ، والتف حوله القساوسة والرهبان ، ليشاهدوا المعجزة الربانية ، وأقاموا طقوسهم فرحين مستبشرين ، ولكن... دم الإله كان مجموعات من السوس تبينها الراهب من بعد هذا ، فأخفى الأمر ، ولم يبح بسره إلا لأفراد ، انتشر منهم لغيرهم ، ثم عرف الأمر وذاع ...)

وعن مسيحية العصور الوسطى التى حدثتك عن مسلكها فى الحروب الصليبية متذرعة بالدين ، يقول المؤلف المسيحى :

(لنتأمل قليلا فى أمر مسيحية القرون الوسطى :

كانت دينا يبغى العالمية ، ويتخذ الحرب وسيله لها ، دينا متعصبا ، شديد التعصب ، لايقبل بالنسبة — إلى العالم الخارجى — أنصاف الحلول ، ويخشاه اليهود خاصة .

وكانت ملتقى لعدد كثير من العقائد التى لايستسيغها المنطق ، ومن الطقوس الدقيقة المتشعبة التى حملت قدراً وافرا من رموز السرية والفعالية) .

ويقول (المسيحية فى القرون الوسطى ، عندما نتأملها ، ثم نقارن حالها بدين نبى إقليم الجليل ، ذلك النبى المتواضع ، الرقيق الخلق ، الذى زعم أن رسالته هى فقط تبشير إخوته فى الله بالنبأ الطيب : نبأ حلول مملكة الله ، وحثهم على إعداد العدة لها بمكارم الأخلاق ، دين عيسى الذى تسامت تقواه إلى إله أجداده فى تطاع نبوى مطمئن) .

لانجد رابطة تذكر بين هذا وذاك .

ألم أقل لك هذا يابنى وفى صورة تعمدت أن تكون مخففه ملطفه حتى لانتهم بالتحامل وهو ، منا ، بعيد .

إن الذى تقرؤه الآن رأى أستاذمتخصص فى المسيحية أو هى كما يقول فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود (تخصصه المتخصص) وهو بعد أستاذ تاريخ المسيحية فى أكبر جامعة فى فرنسا ، وهى جامعة باريس ثم رئيس قسم تاريخ الأديان فى الجامعة كما سلفت الإشارة .

إن الإسلام يابنى مهما جهد أعداؤه ولهتوا فى تصيد عيب ، لم يستطيعوا أن يهدروا أساسياته بهذه الصورة السافرة ، فصار اهم بعد المحاولات المستميتة للنيل منه ، أن يتشبثوا بعقوبة السارق والزانى فى شريعته وقد أوضحت لك حقيقة موقفه منهما .

تحدثوا عن فكرة خاصة بهم نقول بانتشاره بالسيف .

وتحدثوا عن تعدد الزوجات

وهذه أمور أوضحتها لك فلا أعيد

ولو جار القول بنقد هذا عندهم وجود الرأى عنده دون الاستماع إلى وجهة نظر الإسلام فيه ، فانه لايقاس بأى مقياس من مقاييس المقارنة مع ما قرأته الآن من آراء فى المسيحية بأقلام المسيحيين أنفسهم ممن يمثلون الصفوة العلمية بينهم (١) .

مرة أخرى استمع يابنى إلى مؤلف كتاب (المسيحية نشأتها وتطورها) :

(ولقد ظل المدخل إلى معرفة المسيحية الأولى. حتى منتصف القرن التاسع عشر ، محرما تحريماً باتا على العلماء المنزهين عن الغرض. أى على هؤلاء الذين لايعنيهم استغلال الحقيقة لمصلحة مذهب معين ، بل يبغونها خالصة لوجهها .... وكان الرأى العام يؤمن بأن دراسة تاريخ المسيحية إنما هى الساحة التى لايجول فيها إلا رجال الكنيسة وأهل اللاهوت)

وهنا تذكر يابنى أن الإسلام ليس فيه لاهوت. بل إن فيلسوف باكستان (إقبال) يقول — (إنك لاتفهم القرآن إلا إذا استنزلته عليك من جديد) فى عملية وصل ووصال بين المسلم والإسلام .

ليس كتابا مسيحيا واحداً بل عدة كتب تبلغ ثمانية عشر كتاباً وقف عندها وقفات متفاوتة كتاب (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) (٢)

---

(١) اقرأ كتاب (فهم الاسلام ··· مدخل الى عالم الاسلام) تاليف توماس ليبمان

Understanding Islam
An introduction to the Moslem World By Thomas W. Lippman

(٢) ألفه المهندس احمد عبد الوهاب وهو (خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب) ·

يقول « فردريك كلفتن جرانت » (١) فى كتابه (الأناجيل أصلها وتطورها) (إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسود من أوله إلى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة) .

ويقول « حنتر لانسر كوفسكى » فى كتابه (كتابات مقدسة) :

(إن التاريخ المضبوط الذى تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد)

تقول دائرة المعارف البريطانية (إن النسخ الأصلية الأغريقية — أقدم نسخة عرفت من الإنجيل إنما هى ترجمة إغريقية عن الآرامية لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة) (وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر فإن كل النسخ التى استخدمها المسيحيون فى الفترة التى سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير)

ويقول دينس نينهام فى مقدمة تفسيره لإنجيل مرقص : (إنها الحقيقة تصدمنا أنهم — أى كتبة الأناجيل — لم يخبرونا بأى شىء عن هيئة « يسوع » وبنيته الجسميه ، وصحته ، كما لم يخبرونا بشخصيته . وعما إذا كان — على سبيل المثال — سعيداً مبتهجاً ، رابط الجأش ، أم أنه كان على العكس من ذلك .

إنهم لم يفكروا حتى أن يخبرونا بطريقة قاطعة عما إذا كان قد تزوج أم لا .

كذلك فإنهم لم يعطونا معلومات محددة عن طول فترة دعوته . أو عمره حين توفى . كما أنه لا توجد أقل نبذة عن تأثير بيئته الأولى عليه ، أو عن أى تطور فى نظرته ومعتقداته .

لقد أمكن حساب الفترة التى تلزم لإتمام الأحداث التى يرويها مرقص فوجد أنها لا تتعدى ثلاثة أو أربعة أسابيع ، عدا الفقرة ١ : ١٣ التى تقول : وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان .

---

(١) استاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك .

تذكر يابنى أن الإسلام له **كتاب واحد** لم يختلف فيه حرف .

كتاب كتب وقت نزوله كما أنزل وحفظ فى الصدور ... لايستطيع حتى أعداؤه أن يخرقوا فيه حرفاً واحداً ، وهذا الثبات الدائم المتوحد مزية ينفرد بها .

أما اليهود فثابت فى تاريخهم أنهم فعلوا بأنبيائهم ما لم يفعله أحد ففريقاً قتلوا وفريقاً كذبوا .. .. إن المسأله هنا يابنى أكثر من مناقشة موقف دينى لغيرنا ... هؤلاء يابنى — بيننا وبينهم قضيه يجب أن تعرف أبعادها الحقيقية وسط ركام من الآراء وزحام من الأقوال .

نحن والصهيونية .. هذه هى هى القضية :

ثلاثون عاما يابنى نتكلم عن (الحق المغتصب) و (الأرض السليبة) والعدو الغاشم والجاثم والجسيم وترتفع نبرة الكلام صوتا وبلاغه فنصرخ فى راقد العدل أن يستيقظ ، وفى غائب الحق أن يثوب ، فلا استيقظ العدل ولا رجع الحق ، لأن الحق والعدل ليسا شرعة الأقوياء ، أو منطق الاعتداء ، أو طاقة أروقة مجلس الأمن ، أو هدف منابر هيئة الأمم .

ونعرف هذا بالتجربة المريرة ولا نمل الترديد والتكرار ، وأثناء هذا نترك العدو ونستدير بعضنا إلى بعض نسلقه بألسنة حداد فاذا بنا فى المحنة بأسنا بيننا شديد يحسبنا الناس جميعاً وقلوبنا شتى .

وهكذا حولنا الحق إلى أسطورة بينما حول عدونا الأسطورة إلى حقيقة ماثلة .

لقد احتشدوا لباطلهم بالدراسة والتكتيك والمناورة والمساومة فساوم « هرتزل » إنجلترا مرة ، وتركيا مرة ، وأمريكا مرات . وأخذ حائط المبكى صوراً شتى فزرعوا عقدة الذنب عند الغرب حتى لقد تقاضوا بعد الحرب العالمية الثانية من ألمانيا الغربية وحدها أربعين مليارا تعويضاً عن تعذيب

النازى لليهود وهو تعذيب بالغوا فيه وهولوا من أمره ليتقاضوا الثمن ، وكأن إسرائيل وصية على اليهود قبل أن توجد هى ! !

ومضوا يبثون أو ينفثون دعايتهم فينتحلون مرة حضارات الآخرين أو التشكيك فيها أو الافتراء عليها أو الادعاء حتى جعلوا من أنفسهم أصل الأشياء لم يتركوا شيئا إلا نسبوه إلى أنفسهم .

فهم يحسبون لأنفسهم نبوغ علمائهم ، وهم فى واقع الأمر مواطنون فى بلاد أخرى صنعت نبوغهم بالتعليم والنشأة والبيئة والمناخ .

حتى « كتابهم » خدموه لأغراضهم وكتبوه عدة مرات بما يتفق ومصالحهم الحاضرة فى كل عصر . ووضعوا بروتوكولا خاصا بهم ضد كل ما تواضع عليه البشر من أخلاقيات وإنسانيات أعنى « بروتوكول حكماء صهيون » .

حتى الثابت من سوءاتهم أعدوا له فحاولوا استبعاد كل وصمة أو تبريرها ! ! فالمسيح حصلوا على تبرئتهم من الايقاع به وصلبه فى رأى المسيحيين .

« وشيلوك » الذى تقاضى رطلا من لحم المدين أداء لدينه يحاولون حذف هذا المشهد — من أدب شكسبير .

وهم يتذرعون فى سبيل الهدف الذى يعملون له بكل الوسائل ، فهم يدخلون فى الديانات الأخرى ويصطنعون التقوى فيها حتى لايتسرب شك إليهم ثم ينفذون مخططهم فتبدو تقواهم المصطنعة ، توبة فى أعين الآخرين تعزز رأيهم ، هم ، وهؤلاء اليهود المجندون لهذا الغرض يطلق عليهم (الدونمة) بعد أن افتضح أمرهم . والدونمة اسم يطلق على اليهود الذين يتعمدون الدخول فى المسيحية أو الإسلام لتنفيذ مخطط معين .

والأمثلة يضمها كتاب (فى الفكر اليهودى) الذى جمعه د . هرتس حاخام إنجلترا ، وهم ينشئون أبناءهم على كراهية الشعوب الأخرى ويغرسون فى نفوسهم الأحقاد القديمة ليشبوا متعطشين للثأر .. يستوى فى هذا علماؤهم وعامتهم .

لقد كتب داجوبرت ريونز « رسائل إلى ولده » لم أملك إلا ترجمتها لنتدبر أمرنا ونعيد حساباتنا على ضوء ما جاء فيها .

وداجوبرت هذا دكتور فى الفلسفة من جامعة فيينا وكاتب عالم أصدر كثيراً من الكتب الكبيرة منها (قاموس الفلسفة) و (فلسفة القرن العشرين) و (جوته) و (موسوعة الفنون) كما حرر ورأس تحرير عدة صحف علمية مثل مجلة علوم الجمال و (نظريات التجريدالفلسفية) و (الفكر العصرى) فهو بهذا رجل مسئول يعرف مسئوليةالكلمة،ومع هذا لم يتورع كما قلت فى مقدمة ترجمتى لكتابه أن يدس فى هذه الرسائل، التى نعترف أن فيها كثيراً من القيم الأدبية والعلمية والفنية مفهومات خاطئةمضللة عن الشعوب والديانات والحضارات على الطريقة اليهودية، بحيث يبدو كل شىءذى قيمة فى هذه الدنيا من صنع اليهود ومن آثارهم ! ! وهذه إحدىالوسائل العاتية التى تتبعها الصهيونية فى الدعاية . توهم أوربا أنلها فضلا على حضارتها ودينها .. وتوهم أمريكا اليوم أن إسرائيل (قلعة الديمقراطية الغربية) ساخرةمن أوربا وأمريكا معا كما يفعل مؤلف هذا الكتاب فقد سخر من رجالها فى العلم والأدب بل سخر من رجال الدين . سخر من كل شىء .. من كل القيم .

التوراة الحالية .. ومؤلفوها :

إنه فى الرسالة الأولى يجاهر بأن الكتاب السماوى الوحيد هو التوراة. والتوراة الحالية ، ليست التوراة الأولى التى أنزلت على موسى ،وقد اعترف المسيحيون والتوراةأنفسهم بهذا ،حتى لقدذكر قاموس الكتاب المقدس أن التوراة الحالية ألفهاعدد كبير منهم الملك والراعى والصياد فنى ج٢ص ٦٧٢ يقول (ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتبا وهم من جميع طبقات البشر بينهم الراعى والصياد وجابى الضرائب والقائد والنبى والسياسى والملك) .

حتى فى إهداء الكتاب ينعى الكاتب اليهودى على التعصب القبلى ،ورسائله كلها إلى ولده تنضح بل تفيض بالتعصب القبلى الصهيونى الذى يغرسونه غرسا فى نفوس صغارهم مما يشكل خطراً على الإنسانية فى كل بلادها وأديانها .

وفى الرسالة الثانية يتحدث داجوبرت ريونز عن الصداقة ، فى سمت الحكماء الإنسانيين (إن الصديق الحقيقى ياولدى ! هنا يكمن بعض من جوهر

الحياه الباقى . لقد كتبت ألوف من الكتب والصفحات، وألقيت ألوف من المواعظ حول روعة الصداقة، ولكنها ككل الأشياء الرائعة عزيزة مستعصية على التفسير. فالصداقة ككل الأشياء التى تضرب جذورها فى العاطفة تبهر المرء فجأة ولكن الإنسان لايستطيع أن يدعها تقف عند هذا الحد . فلابد متى انطلقت الشرارة الأولى من تعهد الأصدقاء بصبر وإصرار كما يتعهد المرء نبتة فى بستانه) .

الصداقة . . والإيمان بها :

وهذا الذى يتحدث عن الصداقة ذلك الحديث الشيق الجذاب لايؤمن هو ولا قومه بالصداقة ، فاليهود فى كل مكان منعزلون . متقوقعون ، بينهم وبين الناس حرب صامتة بما يحاولون من ابتزازهم عن طريق حرفهم التقليدية وهى السمسرة وأعمال البورصة والربا وتجارة الذهب والمال. ولم يؤثر عن اليهود قبل اغتصاب فلسطين — أنهم احترفوا الزراعة أو الصناعة أو غير هذا من الأعمال المنتجة المعطاء التى تضيف إلى المجتمعات .. إنهم دائما يركبون ظهر الموجة .. يتاجرون بانتاج العاملين ويثرون على حساب الكادحين .. لهذا لايحلون أرضا ونجد لهم فيها صديقاً ولاهم بدورهم يحرصون على صداقة إنسان ... والذين يعيبهم أن يبذلوا صداقتهم فأولئك كما يقول داجوبوت نفسه : (قل أن يظفروا بها وهيهات أن يصونوها) .

هذه أمثلة مما يلقنونه صغارهم .

وهنا أقول أن جزءاً من قضيتنا :

- دراسة اليهود .
- دراسة بروتوكول حكماء صهيون فى المدارس العربية .
- دراسة التراث العربى وتنقيته من الإسرائيليات .
- دراسة تاريخ اليهود مع الإسلام .
- دراسة الحضارة الإسلامية فى الأندلس وأنها الوحيدة التى تسامحت معهم .

جاء فى كتاب الفكر اليهودى تحت عنوان(إخراج اليهود من أسبانيا والبرتغال) .

(لقد هاجمتهم جميع الأمم المسيحية فأشبعتهم شتما وامتهانا ، واحتقاراً وسلبا ونهبا ، ولقد طردهم من إنجلترا إدوارد الأول، ومن فرنسا شارل السادس ، فلم يجدوا ملجأ إلا الأندلس حيث أحاطهم أمراء الإسلام بعطف خاص) .

ومع هذا لم يرعوا للإسلام عهدا أو ذمة .

فى صحيفة (الأنباء) العدد ٤٤٢٩ الصادر فى ٢٩-٤-١٩٨٣ فى القدس نرى كيف يحللون الشخصية المصرية من خلال الكتب التى ألفها أصحابها المصريون عن هذه الشخصة وهنا ، يجب أن نحلل كتب اليهود التى كتبوها عن أنفسهم لنضع أيدينا على مفتاح شخصيتهم ونصدر نسخا من هذا المفتاح إلى كل مكان لنبدد أوهاما كثيرة عالقه بالأذهان فى مختلف أرجاء العالم عنهم مما عملوا على ترسيخه بشتى الوسائل من صحافة وإذاعة وأفلام براقه .

ندرسه لأنفسنا ونذيعه فى الناس شرقا وغربا ليعرفوا حقيقتهم ذات الأقنعة .

إن إسرائيل لايزعجها سلاحنا لأن ما عندها أكثر .. مما يزودها به حلفاؤها الذين يضعون (الفيتو) تحت خدمتها .. وهو أمضى الأسلحة ففى حمايته تعتدى كما تشاء .

ولكن إسرائيل يصيبها الذعر من تنظيم صفوفنا ، وترشيد برامجنا الدراسية وتخطيطنا للمقاومة على أسس علمية موضوعية تخاطب العقل وتصل به إلى إقناع .نحن لانبغى تعصبا أو إضراراً كما فعلوا ولكن يتحتم علينا أن نعرف عدونا فى غير تهويل أو تهوين .

ولايعنى هذا أن يرمى المحاربون سلاحهم ، ولكن معناه أن يسير العلم والعمل جنبا إلى جنب ، ويكون لنا تخطيط على المدى القصير ، وآخر على المدى الطويل .

الاســلام فى الميزان

الآن يابنى وقد قرأنا معا قدرا عن الإسلام ... لنقف وقفة متأملة مستأنية عند هذا الشريط الذى يبلغ طوله أربعة عشر قرنا .

لقد بدأ الإسلام بثلاثة هم الذين استجابوا للرسول :

• أبو بكر من الرجال .

•• السيدة خديجه من النساء .

على بن أبى طالب من الفتيان

واليوم وفقاً لآخر إحصاء لليونسكو يبلغ تعداد الشعوب الإسلامية، حتى وإن شارك فى العدد ، أقليات غير إسلامية ، فى بعض المواقع والبلاد... أقليات ترتاح إلى الإسلام وتنفذ شريعته باختيارها فيما يتعلق بالمواريث والحقوق الاجتماعية كما يحدث فى مصر ... يبلغ تعداد الشعوب الإسلامية والعربية أى التى تتكلم العربية وإن اختلفت أرومتها .

(إحصاء ١٩٨٠)

الدولة	السكان
الجزائر	١٨,٥٩٤,٠٠٠
مصر	٤١,٩٩٥,٠٠٠
ليبيـــــا	٢,٩٧٧,٠٠٠
موريتانيا	١,٦٣٤,٠٠٠
المغـــــرب	٢٠,٢٤٢,٠٠٠
الصومال	٣,٦٤٥,٠٠٠
السودان	١٨,٦٩١,٠٠٠

الدولة	السكان
تونس	٦,٣٦٩,٠٠٠
أفغانستان	١٦,٠٠٠,٠٠٠
البحرين	٣٦٤,٠٠٠
اليمن الديمقراطية	١,٩٦٩,٠٠٠
أندونيسيا	١٥١,٨٩٤,٠٠٠
ايران	٣٧,٤٤٧,٠٠٠
العراق	١٣,٠٨٤,٠٠٠
الأردن	٣,١٩٠,٠٠٠
الكويت	١,٣٥٦,٠٠٠
لبنان	٣,١٦١,٠٠٠
ماليزيا	١٣,٤٣٦,٠٠٠
باكستان	١٢,٤٤١,٠٠٠
الفليبين	٤٨,٤٠٠,٠٠٠
قطر	,٢٢٠,٠٠٠
السعودية	٨,٢٥٧,٠٠٠
عمان	٨٩١,٠٠٠
سوريا	٨,٩٧٩,٠٠٠
تركيا	٤٤,٩٢٤,٠٠٠
الامارات	,٧٩٦,٠٠٠
اليمن	٥,٩٢٦,٠٠٠

بدأ الإسلام فى صحراء متواضعة فغدا يملك الأرض والبحر والدول والممالك بعد أن أزاح أكبر قوتين وقت ظهوره وهما إمبراطورية الروم فى الغرب . وإمبراطورية فارس فى الشرق .

ورث التيجان والعروش .

فلم يتجبر ولم يتكبر ولم يقسم الناس إلى سادة وعبيد، بل تمسك بالمساواة وغالى بها حتى طبعت عمارته التى مالت إلى الخط الأفقى تجنبا للخط الرأسى الذى ينم على التفاوت .

حتى عاصمته لم يتمسك بموطنه الأصلى ولم يتخذها مكة أو المدينة بل خرجت من الجزيرة العربية فكانت دمشق ثم بغداد ثم القاهرة وأخيراً القسطنطينية .

لم يعاد حضارة من الحضارات فأعطته وأعطاها وتبادلا الأخذ والعطاء. وعملت قيمه وأصوله عملها فقامت له، إلى جانب الحضارات القديمة، حضارة ذات طابع خاص تحمل اسمه وتستار سيرته وتشنار جناه وتدخل تاريخ الإنسان ، حضاره إسلامية .

حضارة إسلامية وراءها مئات المتاحف والجامعات والمراكز العلمية والأساتذة والباحثون — والفنانون والأدباء والعلماء والمواهب وألوان العطاء .

هذه الحضارة الإسلامية أينعت وأمرعت فى مصر ، وأبدعت وأمتعت فى إيران والأندلس حيث تعيش أسبانيا إلى اليوم سياحيا وبالتالى اقتصاديا على الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

ولم تكن الأندلس وحدها بل أقبلت أوربا على حضارته فى هذه البقعه وتعلمت لغته لتقبس منه وتأخذعنه فى قرطبة وغرناطة وأشبيلية وغيرها من مدنه العامرة، بل عبرت البحر إلى مدينته القاهرة حيث كانت أوروبا تتعلم الطب فى بيمارستان قلاوون .

* * *

لقد كان العرب قبل الإسلام ، من الناحية المعنوية أبرز ما عندهم اللغة ممثلة فى شعرائهم الذين كانت القبائل تعتز بمولد الشاعر منهم... وإذا كانت المعلقات سبع فوراءها سبع شعراء .

أما النثر فالأسماء فيه آحاد أبرزها « قس بن ساعدة » والرجل أقواله لو جمعت فانها لاتتجاوز سطورا . حكيمة نعم، ولكنها سطور محدودة فحسب.

أين هذا من الكتاب الذى جاء به الإسلام ؟

أين هذا من القرآن الكريم ؟

أين هذا مما فجره هذا القرآن الكريم فى التشريع والفقه والأصول وعلوم الدين والدنيا مما يملأ كتبا بل مكتبات ؟!

ولعل أبرز نقطة يابنى ، فى ساحة المقارنة ، إنما هى تزايد الإسلام اليوم على الرغم مما عليه حال المسلمين دولا وشعوبا ، من ضعف يبلغ فى بعض المواقع إلى قهر ... ومع هذا يدخل فى الإسلام حتى أولئك الذين ينتمون إلى عالم الأقوياء ... .

يدخل فى الإسلام ، اليوم ، أمريكيون وأوربيون ومن بين الصفوة فيهم ... مثل « موريس بوكاى » و « جارودى » وغيرهما من الأفذاذ .

أما أفريقيا فعلى الرغم من انتشار الإرساليات التبشيرية المسيحية بها فان الإسلام يسرى فيها حتى يقدر بعض الباحثين أنها ، قارة الإسلام ، فى القرن الحادى والعشرين .

إذن هى قوة الإسلام الذاتية فواقعنا لا يمكن أن يشكل قوة جذب لأهل الأديان الأخرى . ولكنه ، **وحده** ، الإسلام .

القاهرة { ١٤٠٤ / ١٩٨٤ } **د . نعمات أحمد فؤاد**

الفهرس

رقم الإيداع ٤٣٢٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص · ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩